المجلة العلمية لكلية الآداب مج ١٤، ع ٣ (٢٠٢٥) ١٨- ١١٨
المجلة العلمية لكلية الآداب
https://artdau.journals.ekb.eg/

مجلة الفجر الجديد والقضية الفلسطينية ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦

أحمد صلاح الملا
أستاذ مساعد التاريخ الحديث والمعاصر- كلية الآداب – جامعة دمياط

المستخلص

تناقش هذه الدراسة موقف مجلة "الفجر الجديد" المصرية الماركسية من القضية الفلسطينية وتطوراتها على امتداد فترة صدور المجلة منذ مايو ١٩٤٥ ـ يوليو ١٩٤٦، وفي هذا الإطار حاولت الدراسة فهم رؤية "الفجر الجديد" للقضية في ضوء الأصول اليهودية لمؤسسيها الثلاثة يوسف درويش وصادق سعد وريمون دويك، وكذلك في ضوء "الالتباس الطبقي" الناتج عن منطلقاتها الماركسية.ضمن هذه السياقات، عرضت الدراسة رؤية "الفجر الجديد" لمسائل أساسية كالحركة الصهيونية والهجرة اليهودية إلى فلسطين، وكذلك لدور الاستعمارين البريطاني والأمريكي في خلق وتعزيز الوجود اليهودي هناك وطبيعة مواجهة الحركة الوطنية الفلسطينية لهذا كله، كما استعرضت الدراسة تفصيلاً موقف المجلة الماركسية الشابة من "اللجنة الأنجلو أمريكية" التي كان تشكيلها ثم تقريرها المنحاز للصهاينة بداية الدور الأمريكي الرسمي المباشر في قضية فلسطين، مبرزة ـ في المقابل ـ دعوتها الدائمة لإخراج القضية من حيز العلاقة الثنائية مع بريطانيا وذلك بعرضها على مجلس الأمن.وفي الإطار ذاته، اهتمت دراستنا أيضاً بفهم رؤية "الفجر الجديد" لطبيعة العمل العربي المشترك في مواجهة تطورات قضية فلسطين ممثلاً بالدور الذي قامت به "جامعة الدول العربية" الوليدة في هذه الفترة، بكل ما شاب هذا الدور من عوامل الضعف والقصور.

كلمات مفتاحية: الفجر الجديد ـ الحركة الشيوعية المصرية ـ القضية الفلسطينية ـ الصهيونية ـ اللجنة الأنجلو أمريكية .

تاريخ المقالة:
تاريخ اســـــتلام المقالـــة: ٢٠٢٥/٣/٦
تاريخ استلام النسخة النهائية: ٢٠٢٥/٣/٢٣
تاريخ قبـــول المقالـــــة: ٢٠٢٥/٤/١٥

Scientific Journal of Faculty of Arts 14 (3) 2025, 18-118
المجلة العلمية لكلية الآداب
https://artdau.journals.ekb.eg/

Al–Fajr Al–Jadeed magazine and the Palestine issue 1945 – 1946

Ahmad Salah El-Mulla
Assistant professor of modern and contemporary history
Faculty of Arts – Damietta university

Abstract

This study discusses the position of the Egyptian Marxist magazine "Al-Fajr Al-Jadid" on the Palestinian issue and its developments throughout the period of the magazine's publication from May 1945 to July 1946. In this context, the study attempts to understand "Al-Fajr Al-Jadid's" vision of the issue in light of the Jewish origins of its three founders, Youssef Darwish, Sadiq Saad, and Raymond Doueik, as well as in light of the "class ambiguity" resulting from its Marxist principles.Within these contexts, the study presented "Al-Fajr Al-Jadeed" vision of fundamental issues such as the Zionist movement and Jewish immigration to Palestine, as well as the role of British and American colonialism in creating and strengthening the Jewish presence there and the nature of the Palestinian national movement's confrontation with all of this. The study also reviewed in detail the position of the Marxist magazine on the "Anglo-American Committee," whose formation and subsequent report, which was biased toward the Zionists, marked the beginning of the direct official American role in the Palestine issue, highlighting—in contrast—its constant call to remove the issue from the scope of the bilateral relationship with Britain by presenting it to the Security Council.In the same context, our study also focused on understanding "Al-Fajr Al-Jadeed" vision of the nature of joint Arab action in confronting developments in the Palestinian issue, represented by the role played by the newly established "League of Arab States" during this period, with all the weaknesses and shortcomings that marred this role.

Keywords: Al-Fajr Al-Jadeed - Egyptian Communist Movement - Palestinian Issue - Zionism - Anglo-American Committee..

Article history:
Received 6/3/2025
Received in revised form 23/3/2025
Accepted 15/4/2025

تمهيد:

مصر في الحرب العالمية الثانية

في سنوات الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ عانت مصر أزمة اجتماعية وسياسية عميقة، وكان جوهر هذه الأزمة عاملان أساسيان: أولهما تصاعد الغضب في الشارع المصري إزاء الوجود الضاغط للاحتلال البريطاني، خاصة مع ما أتاحته معاهدة ١٩٣٦ من تسهيلات لبريطانيا وللجيوش الحليفة عامة، وثانيهما الاختلالات الهيكلية في بنية الاقتصاد المصري وما أنتجته من تفاوتات طبقية واجتماعية حادة، في وقت أنضجت فيه ظروف الحرب وضغوطها الوعي العام بهذه التفاوتات والتناقضات، ما جعل من تلك السنوات إحدى أخصب لحظات تاريخ مصر وأكثرها سخونة وفوراناً.

من الناحية السياسية، يمكن القول أن مصر قد استقبلت الحرب العالمية الثانية في ظل ظرف تاريخي ملتبس نوعاً ما؛ فبينما بدا أن معاهدة ١٩٣٦ قد حلت وحسمت القضية الوطنية بشكل معين، سرعان ما ظهر أيضاً أن هذه المعاهدة المراوغة قد فتحت الباب لانشقاقات كبيرة داخل حزب الوفد ـ حامل لواء الوطنية المصرية وراعي المعاهدة نفسها ـ كان أولها انشقاق أحمد ماهر والنقراشي وأنصارهما وتكوين حزب "الهيئة السعدية"، فخرج من الوفد بذلك اثنان من أهم ممثلي الطبقة الوسطى فيه، ما سهل تغلغل عناصر الأرستقراطية الزراعية في بنيته في السنوات التالية، وهو ما وسع المسافة بين قيادة الوفد وجماهيره وأضعف ـ إلى حد ما على الأقل ـ ثقة فئة من قاعدته الشعبية به((١)).

في ذلك المناخ أتت الحرب حاملة أثقالها، فكان إعلان حكومة علي ماهر الأحكام العرفية في أول سبتمبر ١٩٣٩ بضغط بريطاني وما رافقه من فرض الرقابة على الصحف والمكاتبات((٢))، عاملاً مكرساً للهيمنة البريطانية على البلاد وكاشفاً لحدود "الاستقلال" المصري الذي جاءت به المعاهدة.

أثمرت هذه الهيمنة البريطانية ـ في ظل المعاهدة ـ تبرماً واستياء مصرياً عميقاً على كافة المستويات؛ تجلى عند القمة في تعاطف محسوس لدى أوساط القصر والحكومة نفسها مع المحور، وهو ما دفع بريطانيا

(١) محمد أنيس، ٤ فبراير ١٩٤٢ في تاريخ مصر السياسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت، ١٩٧٢، ص٨٢ ـ ٨٣.

(٢) عبد الرحمن الرافعي، في أعقاب الثورة المصرية، الجزء الثالث، دار المعارف، ١٩٨٩، ص٧٩ ـ ٨٠.

للضغط على الملك فاروق لإقالة علي ماهر في يونيو ١٩٤٠ رداً على موقفه الداعي "لتجنيب مصر ويلات الحرب"[٣].

أما على المستوى الشعبي، فقد كان التعاطف مع المحور أكثر علنية ووضوحاً، وهو ما وصل في أواخر يناير ١٩٤٢ إلى اندلاع مظاهرات صاخبة هتف فيها المتظاهرون "إلى الأمام يا روميل"، بينما كانت قوات المحور بقيادة روميل تطرق أبواب مصر بالفعل[٤].

ضغط هذا التطور على أعصاب الإنجليز بشدة، فقرروا ـ على وقع ضربات روميل وبحثاً عن استقرار الجبهة الداخلية المنفلتة ـ إجبار حكومة حسين سري القائمة آنذاك على الاستقالة والإتيان بحكومة جديدة بقيادة مصطفى النحاس، وفي ٤ فبراير ١٩٤٢ حاصرت الدبابات الإنجليزية القصر الملكي لإجبار الملك على القبول بحكومة وفدية، وقبل زعيم الوفد نفسه العودة إلى السلطة على أسنة الرماح البريطانية[٥].

كان هذا الحادث إهانة بليغة للعرش صدعت صورته العامة، كما كان أيضاً ضربة في الصميم لمغزى وجود الوفد ذاته كحامل للواء الوطنية المصرية، لكن دلالته الأهم تمثلت في أنه قضى تماماً على كل محاولة لتصوير العلاقة بين مصر وانجلترا كعلاقة بين ندين، حسب المبدأ الذي أكدته معاهدة ١٩٣٦[٦].

واستمراراً لتداعيات الأزمة، لم يلبث الوفد أن تعرض لضربة أخرى قاسية بعد فصل سكرتيره وعقله المفكر مكرم عبيد في منتصف ١٩٤٢، وتنبع أهمية هذا التطور من أن مكرم بالذات كان الأقرب للنحاس وكان مسئولاً أكثر من سواه عن صناعة زعامته أمام الجماهير[٧]، وقد اكتمل الأثر الكارثي لهذا الحدث حين رد مكرم على فصله بعنف فانضم بكل قوته إلى خصوم الوفد مهاجماً حزبه السابق وزعيمه بضراوة وكاشفاً

---

[٣] محمد زكي عبد القادر، محنة الدستور ١٩٢٣ ـ ١٩٥٢، كتاب روز اليوسف، ١٩٥٥، ص١٠٧.

[4] Kramer. Gudrun, The Jews in modern Egypt 1914 – 1952, university of Washington press, 1989, p.156.

[٥] حول التنسيق المسبق بين الإنجليز والوفد قبل ٤ فبراير، راجع: اللورد كيلرن، مذكرات اللورد كيلرن ١٩٣٤ ـ ١٩٤٦، الجزء الثاني، ترجمة: عبد الرؤوف أحمد عمرو، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥، ص٣٠ ـ ٣٣.

[٦] طارق البشري، الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢، دار الشروق، ١٩٨٣، ص١٠.

[٧] مصطفى الفقي، الأقباط في السياسة المصرية: مكرم عبيد ودوره في الحركة الوطنية، دار الشروق، ١٩٨٨، ص١٢٠.

عن كثير من مظاهر الفساد في الوفد وعن كثير مما ارتكبته حكومة النحاس من مظاهر الاستثناءات والمحسوبية، وذلك في كتابه الأسود الشهير[٨].

وتحت وطأة هذه الأزمات، تخاذلت حكومة ٤ فبراير كثيراً ــ في ظل تزايد نفوذ كبار الملاك في قيادة الوفد ــ عن إثارة القضية الوطنية، في ظروف كان يمكن فيها للوفد أن ينتزع من البريطانيين الكثير بسبب حاجتهم إلى المساعدة المصرية لهم في معارك الصحراء[٩].

ولهذا كله كان طبيعياً أن تتراجع قيادة الوفد للحركة الوطنية بعد ٤ فبراير ١٩٤٢ إلى حد ما، فسهل بذلك على الملك الغاضب أن يطيح بحكومته بمجرد انتهاء حاجة بريطانيا إليها مع اقتراب انتصار الحلفاء، وهو ما تم في ٨ أكتوبر ١٩٤٤ لتخلفها حكومة ائتلافية من أحزاب الأقلية يرأسها أحمد ماهر[١٠]، ومع اغتيال أحمد ماهر في ٢٤ فبراير ١٩٤٥ كلف الملك الرجل الثاني في الحزب السعدي محمود فهمي النقراشي بتأليف الحكومة الجديدة[١١].

هذا المشهد السياسي الخاوي الذي يتحكم فيه الاستعمار ويوجهه ملك غرير عبر أدواته من أحزاب الأقلية، كشف لقطاع من الجماهير المصرية عبثية الحياة السياسية بشكلها القائم، ما أدى إلى تعاظم قوة تيارات الرفض الجديدة سواء منها قوى اليمين ممثلة في الإخوان المسلمين ومصر الفتاة أو قوى اليسار ممثلة في الجماعات الماركسية.

لكن ثمة سبباً آخر أكثر أهمية يفسر تنامي قوة تلك التيارات الجديدة وبالذات اليسارية منها في تلك اللحظة الفوارة، وهو احتدام التناقضات الاجتماعية وتصاعد الاحتقان إزاء مشكلات جديدة حجبتها طويلاً هيمنة النظرة التقليدية للقضية الوطنية، ففي ظل ضغوط الحرب انكشف الارتباط بين التحكم السياسي والاستغلال الاقتصادي وبدأت الجماهير المصرية تنتبه إلى أن مصدر شقائها هو هذا الاستغلال، وأن طموحها لنيل حقوقها الوطنية وتحقيق مستوى معيشة أفضل في ذات الوقت يقف دونه السفير البريطاني بجنده ومعسكراته كما تقف دونه أيضاً هيمنة الملك والباشوات الرأسماليين، ما مهد الطريق للحركة الوطنية لتكتسب وعياً جديداً وتدرك العمق الاقتصادي الاجتماعي للنضال ضد الاستعمار والطبقات العليا المالكة

---

(8) Kirk. George, The Middle East in the war, Oxford university press, 1952, pp.258 – 259.

(٩) طارق البشري، مرجع سابق، ص٣٣ ــ ٣٤.

(١٠) عبد الرحمن الرافعي، مصدر سابق، ص١٤٩ ــ ١٥٠.

(١١) راجع: فؤاد كرم "جمع وترتيب"، النظارات والوزارات المصرية، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤، ص٤٣٥ ــ ٤٣٨.

المتحالفة معه، وهكذا بدأت عناصر الشباب الأكثر نضجاً تلتقط الفكر الاشتراكي العلمي وتصوغ من خلاله مضموناً جديداً للحركة الوطنية[١٢].

***

تعرض الاقتصاد المصري في ظل الحرب العالمية الثانية لاضطراب عنيف فازداد المجتمع فقراً في مجموعه؛ حيث هبط دخل الفرد عام ١٩٤٥ بمعدل ١٥٪ عما كان عليه عام ١٩٣٩، كما أن سوء توزيع الناتج المحلي الإجمالي زاد من الإحساس بوطأة الأزمة، حيث سيطر الإقطاعيون وكبار التجار وأصحاب الأسهم والسندات من الأجانب والمتمصرين ومن لحقهم من رجال الرأسمالية المصرية على الأراضي الزراعية والعقارات والأرصدة المالية، وكان عدد هؤلاء جميعاً مع عائلاتهم وأتباعهم لا يزيد عن نصف مليون شخص، بينما تُرك أكثر من ١٥ مليون شخص من عمال المدن والريف والفلاحين والموظفين ليعيشوا على الفتات[١٣].

وفي الريف بشكل خاص، كان توزيع الأراضي الزراعية من حيث حجم الملكية يكرس انقساماً حاداً في المجتمع الريفي؛ حيث نجد أن ٤٪ من ملاك الأراضي يملكون ٢,٢ مليون فدان أي حوالي ٣٦,٧٪ من مجموع الأراضي الزراعية في مصر، بينما يملك ٢,٥ مليون فلاح ممن لا تزيد ملكياتهم عن خمسة أفدنة مليوني فدان فقط أي حوالي ٣٤٪ من مجموع الأراض الزراعية، هذا في الوقت الذي لم تتعد فيه ملكية فقراء الفلاحين ــ من ذوي الفدان الواحد فأقل ــ ١٣٪ من إجمالي الأراضي الزراعية، رغم أنهم يشكلون أكثر من ٧٢٪ من عدد الفلاحين في البلاد[١٤].

وفي مظهر آخر لأزمة الريف آنذاك، أجبرت بريطانيا مصر على اتباع دورة زراعية غير ملائمة تستهدف زيادة إنتاج القمح والحبوب على حساب المحصول النقدي الرئيسي في البلاد وهو القطن لتغطية احتياجات قوات الحلفاء من المحاصيل الغذائية[١٥]، وقد استخدم الإنجليز في ذلك أساليب عديدة؛ منها التحكم في شراء القطن بأبخس الأثمان رغم ارتفاع أسعاره العالمية في هذه الفترة، وكذلك منع مصر من بيع قطنها للأطراف

---

[١٢] أحمد صادق سعد، صفحات من اليسار المصري في أعقاب الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ ــ ١٩٤٦، مكتبة مدبولي، ١٩٧٦، ص٣١ ــ ٣٢.

[١٣] شهدي عطية الشافعي، تطور الحركة الوطنية المصرية ١٨٨٢ ــ ١٩٥٦، القاهرة، ١٩٥٧، ص٩١ ــ ٩٢.

[١٤] سيرانيان، مصر ونضالها من أجل الاستقلال ١٩٤٥ ــ ١٩٥٢، ترجمة: عاطف عبد الهادي علام، دار الثقافة الجديدة، ١٩٨٥، ص١٧.

[١٥] جمال الدين محمد سعيد، التطور الاقتصادي في مصر، مطابع رمسيس ــ الأسكندرية، ١٩٥٤، ص٢٧٧.

المحاربة لهم وحتى المحايدة[١٦]، وفي عام ١٩٤١ أخطرت انجلترا مصر أنها غير مستعدة سوى لشراء نصف محصول القطن الجديد وبنفس أسعار العام السابق[١٧]، ولما كانت الحكومة المصرية قد قررت رفع سعر قنطار القطن بمقدار ريالين فقد تحملت وحدها هذا الفرق عن المحصول كله، كما كان عليها أن تمول شراء النصف الباقي من المحصول[١٨].

وقد أدى استحكام أزمة الإنتاج الزراعي وانخفاض أسعار القطن وعدم القدرة على تصريفه، إلى بروز أسلوب جديد من الاستغلال ألقى عبء الأزمة على عاتق صغار المزارعين وهو أسلوب المضاربة بالأراضي الزراعية، فقد كان استئجار الأراضي الزراعية ثم إعادة تأجيرها للفلاحين أكثر ربحاً لكبار الملاك من زراعتها بالطرق الحديثة، وأوقع هذا مليوني شخص من صغار الفلاحين بين براثن استغلال بشع وثقيل الوطأة[١٩].

وبالإضافة إلى هؤلاء، كانت هناك في الريف المصري طبقة واسعة من العمال الزراعيين الذين يعيشون تحت نير نوع آخر من الاستغلال البشع، ومنهم الفلاحين الذين أفلسوا تماماً وتم طردهم من أراضيهم، ويقدر البعض حجم هذه الطبقة بما يتراوح بين مليون ومليوني فرد[٢٠].

وفي ظل هذا الواقع الصارخ بالتفاوت والظلم الاجتماعي، كان مما زاد من وطأة الأزمة في الريف آنذاك ما تميزت به الطبقات المالكة والحاكمة من التعنت وضيق الأفق؛ فحين قدمت الحكومة إلى مجلس النواب عام ١٩٤٠ قانوناً ينص على عدم جواز الحجز على الضروريات اللازمة لمعيشة الفلاح الصغير، ثارت ثائرة أعضاء المجلس وصاح أحدهم "أنا أعترض على هذه القوانين التي تقدمها لنا الحكومة، لأنها قائمة على المبادئ البلشفية"[٢١].

---

[١٦] عبد العظيم محمد رمضان، تطور الحركة الوطنية في مصر من سنة ١٩٣٧ إلى سنة ١٩٤٨، دار الوطن العربي، د.ت، الجزء الثاني، ص١٦١.

[17] Kirk, The Middle East in the war, p.203.

[١٨] جمال الدين محمد سعيد، مرجع سابق، ص٢٧٨.

[١٩] رفعت السعيد، تاريخ المنظمات اليسارية المصرية ١٩٤٠ ـ ١٩٥٠، ضمن: تاريخ الحركة الشيوعية المصرية، المجلد الثالث ١٩٤٠ ـ ١٩٥٠، شركة الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨، ص٢٩ ـ ٣٠.

[٢٠] سيرانيان، مرجع سابق، ص١٩.

[٢١] التطور، مايو ١٩٤٠؛ نقلاً عن: رفعت السعيد، الصحافة اليسارية في مصر ١٩٢٥ ـ ١٩٤٨، ضمن: تاريخ الحركة الشيوعية المصرية، المجلد الثاني: الصحافة العلنية، شركة الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٧، ص١٠٩.

***

لم تقتصر الآثار الوخيمة للحرب العالمية الثانية في مصر على الريف فقط، بل امتدت إلى مجمل الوضع الاقتصادي في البلاد، ففي ظل هذه الحرب التي لم تكن لمصر فيها "ناقة ولا جمل" قدم اقتصادها المنهك لبريطانيا خدمات جليلة، منها تموين جيوش الحلفاء بكل ما كانت تطلبه من المواد الغذائية والصناعية، ولما كان الجنيه المصري مرتبطاً وقتئذ بالاسترليني فقد ساعد هذا بريطانيا ـ من خلال سيطرة البنك الأهلي على إصدار النقد المصري ـ على أن تلقي مقابل هذه السلع بملايين الجنيهات التي لم يكن لها أي غطاء ذهبي اكتفاء بسندات من الخزينة البريطانية، وهكذا نشأت مأساة "الأرصدة الاسترلينية"[٢٢].

ونتيجة لذلك، زاد حجم النقد المتداول في مصر من ٢٢ مليون جنيه عام ١٩٣٨ إلى ١٢٢ مليوناً في نهاية ١٩٤٤، وحدثت موجة تضخم كبيرة كان من نتائجها أن ارتفعت الأسعار بشكل فادح حتى بلغت ثلاثة أضعاف ما كانت عليه قبل الحرب[٢٣]، الأمر الذي عانت من وطأته الطبقات الشعبية.

وقد حاولت حكومة الوفد احتواء آثار هذا التضخم بمنح موظفي وعمال الحكومة وكذلك عمال المؤسسات الأهلية علاوة غلاء معيشة، ثم أصدرت "قانون الإنصاف" لموظفي الحكومة وهو الذي زاد مرتباتهم بدرجة محسوسة، إلا أن موجة الغلاء الكاسحة كانت أكبر من أي زيادة في الأجر[٢٤].

وفي المقابل، نشأت سريعاً في تلك الفترة طبقة جديدة أُطلق عليها "أغنياء الحرب"، ممن ظهرت عليهم النعمة فجأة من التعامل مع الإنجليز والحصول على مكاسب فاحشة نتيجة دفع رشاوى للمسئولين العسكريين في "الكامبات" البريطانية والأمريكية، أو حتى عن طريق السرقات المباشرة التي كانت تتم بمساعدة بعض حراس المعسكرات، وقد تضخم تأثير هذه الفئة بسرعة وبدأت تتفاخر بثرواتها وعماراتها وملابسها الفاخرة بشكل استفز مشاعر الفقراء[٢٥].

---

[٢٢] الرافعي، مصدر سابق، ص١٣٦ ـ ١٣٧؛ ولمزيد من التفاصيل حول الموضوع راجع: عبد العظيم رمضان، صراع الطبقات في مصر ١٨٣٧ ـ ١٩٥٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت، ١٩٧٨، ص٤٠ ـ ٤١.

[23] Issawi. Charles, Egypt: An economic and social analysis, Oxford university press, 1947, p.138.

[٢٤] طه سعد عثمان، مذكرات ووثائق من تاريخ عمال مصر، الكتاب الثاني، مكتبة مدبولي، ١٩٨٢، ص٧٠ ـ ٧١.

[٢٥] نفسه، ص٧١.

في ظل هذا الواقع المأزوم، الذي سُدت فيه منافذ الحياة على الطبقات الدنيا والوسطى بينما أثرى المضاربون والأفاقون، ظهرت تناقضات كانت دلالتها تفقأ العيون؛ فرأينا في مدن مصر الكبيرة أن تجاورت الفيللات الأنيقة مع عشش الصفيح وأكواخ الطين التي عاش فيها الفقراء[٢٦]، وفي الوقت الذي كانت أسعار الطعام فيه ترتفع إلى درجة اختفى معها الخبز أحياناً من مخابز القاهرة، كما حدث مع حكومة سري في أوائل ١٩٤٢[٢٧]، كانت الأسواق تعج بالأسلحة المهربة وكانت الطلقات النارية تباع بالكوم، بحيث أصبح السلاح أرخص السلع في مصر[٢٨].

***

أفاد الظرف الاستثنائي للحرب العالمية الثانية التطور الصناعي في مصر بشكل ملحوظ؛ ففي ظل الحماية الطبيعية التي توفرت للمنتج المحلي بفعل القتال وانقطاع الواردات من أوربا وما نتج عن ذلك من زيادة طلب القوات الأجنبية الموجودة بمصر على المنتجات المحلية المتاحة، حققت الرأسمالية الصناعية المحلية تطوراً كبيراً، فزاد رأس المال المستثمر في الصناعة من ٨٦ مليون جنيه عام ١٩٣٩ إلى ١٠٦ مليون جنيه عام ١٩٤٥[٢٩]، وزاد الإنتاج الصناعي في مصر خلال الحرب بنسبة ٣٨٪ تقريباً[٣٠]، وعزز من الانتعاش المؤقت للصناعة المصرية آنذاك انفتاح أسواق جديدة أمام منتجاتها هي أسواق البلاد العربية، نتيجة لقربها من مصر وانقطاع وارداتها هي الأخرى من الدول الأوربية[٣١].

وبالتوازي مع ذلك، التحق نحو ٢٥٠ ألف عامل مصري بالمعسكرات والمصانع الحربية البريطانية والأمريكية والورش التابعة لها بأجور مرتفعة ـ نسبياً ـ مقارنة بمستوى الدخول السائدة، وكان من هؤلاء حوالي ٨٠ ألف عامل ماهر وشبه ماهر[٣٢].

---

[٢٦] نزيه نصيف الأيوبي، الدولة المركزية في مصر، مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت، ١٩٨٩، ص٥٦.

[٢٧] عبد العظيم محمد رمضان، تطور الحركة الوطنية، ج٢، مرجع سابق، ص١٧٢.

[٢٨] صلاح عيسى، أفيون وبنادق: سيرة سياسية واجتماعية لخط الصعيد الذي دوخ ثلاث حكومات، المحروسة، ٢٠٢١، ص٣٧.

[٢٩] أحمد صلاح الملا، الطبقة العاملة المصرية والحياة السياسية ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢، دار زويل للنشر ـ القاهرة، ٢٠٠٠، ص١٩ ـ ٢١.

[٣٠] بكلانوف، الطبقة العاملة في مصر المعاصرة، ترجمة: أحمد حسان، دمشق، ١٩٨٨، ص٢٦.

[٣١] نوال قاسم، تطور الصناعة المصرية منذ عهد محمد علي حتى عهد عبد الناصر، مكتبة مدبولي، ١٩٨٧، ص٢٩١.

[٣٢] سيرانيان، مرجع سابق، ص٣١.

ومع هذا النمو الصناعي ظهرت عملية ملازمة وهي التركز الرأسمالي؛ فمع نهاية الحرب العالمية الثانية أصبح ٣٢٪ من العمال يعملون في مصانع يستخدم كل منها ٥٠٠ عامل فأكثر، وكان عدد هذه المصانع ٤٥ مصنعاً فقط(٣٣).

في ظل هذا الاتجاه إلى التركز الرأسمالي وما يستتبعه بالضرورة من تركز للطبقة العاملة، بدأت تظهر مناطق سكنية عمالية كاملة تضم كل منها آلافاً من العمال(٣٤)، كما كان احتكاك العمال في هذه الفترة بالأفكار الاشتراكية التي تعاظم الاهتمام بها في أوساط مصرية عديدة آنذاك بفعل انتصارات الاتحاد السوفيتي ضد النازية، سبباً مهماً في نضج وعيهم بحقوقهم وتطور نظرتهم إلى ذواتهم(٣٥).

ذلك التطور في وعي العمال، ترافق مع تصاعد سياسات إفقارهم مع غيرهم من جماهير الشعب، فرغم وجود ذلك القطاع العمالي المدلل نسبياً في المعسكرات البريطانية والأمريكية، ظل القطاع الأكبر من العمال يعاني شظف العيش في ظل ظروف الحرب؛ حيث قدرت مصلحة الإحصاء عام ١٩٤٢ أن ما يلزم لعامل وزوجته وأربعة أولاد لا يقل عن ٤٣٩ قرشاً شهرياً، بينما كان متوسط الأجر للعامل في تلك السنة لا يتجاوز فعلياً ٢٩٣ قرشاً في الشهر، أي أن غالبية أبناء الطبقة العاملة في المدن كانوا يعيشون دون الحد الأدني للكفاف بكثير(٣٦).

وهكذا نشأت معادلة جديدة، فبينما حدث في مصر تراكم رأسمالي صناعي بفعل الحرب، فإن منفعة هذا التراكم اقتصادياً عادت على فئة صغيرة من كبار الرأسماليين، وذلك في الوقت الذي تفاقم فيه إحساس العمال بهذا التناقض نتيجة تبلور وعيهم الطبقي.

---

(٣٣) عبد العظيم رمضان، صراع الطبقات، مرجع سابق، ص١٩٤.

(٣٤) محمود متولي، الجذور التاريخية للرأسمالية المصرية وتطورها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤، ص١٦٣.

(٣٥)أبوسيف يوسف، وثائق ومواقف من تاريخ اليسار المصري ١٩٤١ ـ ١٩٥٧: مادة لتاريخ منظمة طليعة العمال، شركة الأمل للطباعة والنشر، ٢٠٠٠، ص١٣؛ وعلى مستوى معين، حول الحماس الشعبي الذي أثارته الانتصارات العسكرية السوفيتية آنذاك مشاعر شرائح من البورجوازية الصغيرة وجماهير المدن المحرومة في مصر عامة من الأمل في التحرر عن طريق القوات الألمانية إلى الإعجاب بستالين والاتحاد السوفيتي، وهكذا استند الميلاد الثاني للحركة الشيوعية المصرية في الأربعينيات ـ معنوياً ـ إلى هيبة الجيش الأحمر بعد ستالينجراد، كما استند ميلاد الشيوعية الصينية إلى انتصار ثورة أكتوبر ١٩١٧ في روسيا نفسها، راجع: أنور مغيث، الماركسية في مصر، ترجمة: عاصم عبد ربه حسين، المحروسة، ٢٠٢٤، ص١٧٨ ـ ١٧٩.

(٣٦) شهدي عطية الشافعي، مصدر سابق، ص٩٣.

في ظل هذا الوعي المستجد، ومع ارتفاع نفقات المعيشة وتصاعد ضغوط الحرب، نمت المطالبات العمالية برفع الأجور وبحق إنشاء النقابات، فأصدرت حكومة الوفد القانون ٨٥ لسنة ١٩٤٢ الذي سمح لعمال الصناعة بتأسيس نقاباتهم[٣٧]، ما أتاح للعمل النقابي أن ينشط حتى وصل عدد النقابات عام ١٩٤٤ إلى ٢١٠ نقابة تضم ما يقرب من ١٠٤ ألف عضو[٣٨]، ولا شك أن إصدار هذا القانون كان جزءاً من محاولة الوفد للتهدئة الاجتماعية وامتصاص الامتعاض الشعبي من طريقة وصوله إلى السلطة بعد حادثة ٤ فبراير[٣٩].

وبالوعي ذاته أيضاً، قرر العمال ـ في تطور نوعي لافت وللمرة الأولى في تاريخهم ـ ترشيح أحد قياداتهم النقابية وهو فضالي عبد المجيد عبد الجواد رئيس نقابة عمال النسيج الميكانيكي لخوض انتخابات مجلس النواب الجديد التي تقررت بعد الإطاحة بحكومة الوفد في أكتوبر ١٩٤٤ وتم إجراؤها في ٨ يناير ١٩٤٥، وذلك عن دائرة شبرا الخيمة ذات الثقل العمالي الكبير، ورغم إسقاط حكومة أحمد ماهر الرجل في الانتخابات ـ بل وقيام حكومة النقراشي التي خلفتها بحل النقابة العامة لعمال النسيج الميكانيكي كلياً في ٣٠ إبريل ١٩٤٥ ـ إلا أن ما بذلته حملته الانتخابية من جهد وما قدمته من برنامج عمالي وسياسي تقدمي وناضج كان علامة جديدة على تبلور وعي العمال الطبقي والسياسي، في تلك اللحظة المفصلية من تاريخ مصر مع اقتراب نهاية الحرب العالمية الثانية[٤٠].

المبحث الأول

نشأة مجلة الفجر الجديد وملامحها العامة

مع بداية تأزم الوضع الدولي منذ منتصف الثلاثينيات ـ ما قاد بعد سنوات قليلة إلى اندلاع الحرب العالمية االثانية ـ نشأ في القاهرة والأسكندرية تنظيم يساري صغير باسم "عصبة أنصار السلام"، اعتبر أن مهمته هي النضال للحفاظ على السلام العالمي والعمل من أجل استقلال

(٣٧) محمود العسكري، صفحات من تاريخ الطبقة العاملة، دار الخدمات النقابية بحلوان، ١٩٩٥، ص١٤١ ـ ١٤٣.

(٣٨) شهدي عطية الشافعي، مصدر سابق، ص٨٦.

(٣٩) طارق البشري، مرجع سابق، ص١١ ـ ١٢.

(٤٠) حول معركة فضالي عبد المجيد الانتخابية وتفاصيلها ودلالاتها راجع: طه سعد عثمان، مذكرات ووثائق، الكتاب الثاني، ص٧٨ ـ ١٤٨؛ وراجع نص برنامجه الانتخابي في: عاصم الدسوقي وآخران "تحرير"، وثائق الحركة الشيوعية المصرية ١٩٤٤ ـ ١٩٥٢، مركز البحوث العربية والإفريقية، ٢٠٠٧، ص٩ ـ ١٠.

مصر[٤١]، وقد غلبت على العصبة عضوية الشبان الأجانب المثقفين المقيمين في مصر من يونانيين وقبارصة وإيطاليين وأرمن وإنجليز، ولم يكن بها من المصريين سوى بعض الشبان اليهود[٤٢].

ولما كان نشاط العصبة موجهاً بالأساس ضد خطر الحروب التي كانت تثيرها الفاشية الألمانية والإيطالية، فقد قامت في هذه الفترة ببعض النشاطات ضد الخطر الفاشي؛ فنظمت حملات ضد الغزو الإيطالي للحبشة وضد النازية ولمساندة الجمهوريين الأسبان[٤٣]، وفي هذا الإطار يقول أحد أعضائها من الشبان المصريين اليهود وهو صادق سعد "أذكر أني حضرت في الأسكندرية مؤتمراً عقد في نادي الموظفين ضد الغزو الإيطالي للحبشة، واشتركت اشتراكاً متواضعاً في نشاط الجماعة بالقاهرة تأييداً لمقاومة الجمهورية الأسبانية الباسلة ضد الغزو الفاشي الإيطالي والألماني الذي تحول إلى الحرب الأهلية المعروفة"، غير أن عمل العصبة ظل محصوراً ـ في المحصلة ـ في دائرة محدودة من الأجانب، فعدو مصر الرئيسي آنذاك كان الاستعمار البريطاني، وكان من الصعب على كثير من الوطنيين المصريين أن يهتموا بعدو آخر، بل إن بعضهم كثيراً ما كان يميل إلى النظر لدول المحور كحليف للنضال المصري في مواجهة بريطانيا[٤٤].

هنا، ينبغي علينا أن نتوقف قليلاً لنتعرف إلى شخصية مهمة في تاريخ هذه التجربة وهو "بول جاكو ديكومب"؛ وقد ولد بالقاهرة لعائلة بروتستنتية سويسرية وكان والده مهندساً يملك شركة مقاولات، وتلقى بول تعليمه الأساسي في المدارس الأجنبية بمصر وسافر في بداية عام ١٩٣٠ إلى ألمانيا لاستكمال دراسته العليا في الموسيقى، وأثناء وجوده هناك احتك بالأفكار الاشتراكية وأقام علاقات مع الحزب الشيوعي الألماني دون أن يكون عضواً فيه، وخلال عطلة دراسية قضاها ديكومب في مصر وصل هتلر إلى السلطة في ألمانيا عام ١٩٣٣، فقرر الرجل البقاء في مصر وممارسة نشاطه السياسي الشيوعي فيها، وعلى هذه الخلفية أسهم في تأسيس "عصبة أنصار السلام" عام ١٩٣٤[٤٥].

وقد حاول بول جاكو ديكومب من خلال "العصبة" الإطلال على الحركة الوطنية المصرية؛ فأقام علاقة مع الاتحاد النسائي المصري

---

(٤١) عبد القادر ياسين، الحركة الشيوعية المصرية: الجذور ـ القسمات ـ المآل ١٩٢١ ـ ١٩٦٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢، ص٤٣.

(٤٢)أبوسيف يوسف، مصدر سابق، ص٣٦ ـ ٤١.

(٤٣) رفعت السعيد، تاريخ المنظمات، ضمن: تاريخ الحركة الشيوعية، مج٣، ص١١٤.

(٤٤) أحمد صادق سعد، مصدر سابق، ص٣٨ ـ ٣٩.

(45) Botman. Selma, The rise of Egyptian communism 1939 - 1970, Seracuse university press, 1988, p.6.

وزعيمته هدى شعراوي، كما أقام علاقات مع بعض العناصر الوفدية الهامة مثل عبد الفتاح الطويل باشا، الذي رتب عن طريقه عام ١٩٣٨ لقاء بين مصطفى النحاس والزعيم الهندي "نهرو"[٤٦] أثناء مرور الأخير بمصر في طريقه إلى لندن، وقد تم اللقاء فعلاً وحضره ديكومب، وكان من الموضوعات التي أثيرت فيه قضية حشد وتنظيم الجماهير الشعبية في المعارك الوطنية[٤٧].

ولما كان ديكومب يمتاز بشخصية تنظيمية منضبطة، فقد مارس من داخل العصبة نشاطاً شديد الحذر لخلق نواة مؤدلجة بدأت تتدارس النظرية الماركسية[٤٨]، وبسبب الأوضاع السياسية والأمنية المعادية للشيوعية في مصر ـ وكذلك بسبب الطابع الحذر لشخصية ديكومب نفسه ـ كانت هذه المجموعة الماركسية الضيقة متعددة الجنسيات ذات طابع مركزي متشدد، وقد انصبت الدراسة فيها على ثلاثة أنواع من الكتب: أمهات الكتب الماركسية لماركس وإنجلز ولينين وستالين، كتب لمفكرين وفلاسفة ماركسيين مثل روجيه جارودي وهنري لوفيفر، كتب في تاريخ مصر ومشاكلها الاقتصادية والاجتماعية[٤٩]؛ وفي الإطار المصري بالذات احتلت كتب عبد الرحمن الرافعي عن الحركة الوطنية مكانة مهمة في هذه الحلقة، وكذلك كان ثمة اهتمام بالاطلاع على الكتب التي تناولت المسألة الفلاحية مثل كتابات الأب هنري عيروط ويوسف نحاس[٥٠].

وضمن هذه الحلقة، نشط ثلاثة من الشبان المصريين اليهود كان لدورهم أهمية كبيرة فيما بعد، وهم صادق سعد ويوسف درويش وريمون دويك[٥١]، ويشرح صادق سعد الأثر الفكري لهذه الحلقة في تكوينه الماركسي فيقول "عندما التحقت بكلية الهندسة في القاهرة ـ عام ـ ١٩٣٧، أصبحت أتردد على مقر الجماعة فيها، وتعرفت في هذه الفترة على بول جاكو ديكومب ... وعلى الشاعر القبرصي ثيودوسي بيريدس وزوجته ألكسندرا وريمون دويك ويوسف درويش وجورج حنين وآخرين، وانضممت إلى حلقة دراسية كونها البعض منهم تجتمع أسبوعياً لقراءة كتاب في الاقتصاد السياسي ومناقشته، وقد أفادتني هذه الحلقة فائدة كبرى،

---

[٤٦] رفعت السعيد، تاريخ المنظمات، ص١١٣.

[٤٧] أبوسيف يوسف، مصدر سابق، ص٤٤.

[٤٨] رفعت السعيد، تاريخ المنظمات، ص١١٥.

[٤٩] عبد القادر ياسين، الحركة الشيوعية المصرية، ص٥٣.

[٥٠] أبوسيف يوسف، مصدر سابق، ص٤٥.

[٥١] من الجدير بالذكر أن يوسف درويش وصادق سعد قد أشهرا إسلامهما فيما بعد؛ لتعريف موسع بنشأة الشبان الثلاثة وشخصياتهم وبدايات تعرفهم على الفكر الماركسي راجع: نفسه، ص٤٧ ـ ٥٢.

حيث يرجع إليها الفضل في إرساء المبادئ الماركسية الأساسية للاقتصاد السياسي في ذهني"[٥٢].

من الضروري هنا الانتباه منذ البداية إلى مسألة مهمة؛ فمن الطبيعي أن يكون يهود مصر بالذات من أبرز وأبكر فئات المجتمع المصري تعرفاً على الفكر الماركسي، وذلك لاحتكاكهم الطويل باللغات والثقافة الأوربية، لقد كان المناخ الإيديولوجي لليهود المثقفين مستمداً من أوربا، حيث كان اليسار يمارس في هذه الفترة نشاطاً كبيراً مناهضاً للفاشية[٥٣]، وعلى مستوى معين، كان الانضمام إلى الحركة الشيوعية هو وسيلة الشباب الأكثر راديكالية في البيئة اليهودية بمصر للاندماج في المجتمع المصري وفي الحياة السياسية للبلاد[٥٤].

***

مع نشوب الحرب العالمية الثانية في سبتمبر ١٩٣٩ اجتمعت الحلقة الدراسية لتحدد موقفها منها، فتبنت رؤية لينين بخصوص الحرب العالمية الأولى، والقاضية بأن الحرب التي تنشب بين الدول الاستعمارية يجب على الاشتراكيين تحويلها إلى ثورة اشتراكية[٥٥]، وبعد المناقشة قررت الحلقة تكوين هيكل تنظيمي سري وانتخبت له قيادة من ثلاثة، وانسجاماً مع هذا التطور أضيفت للدراسة النظرية فيها مسألة "قواعد السرية والأمان" التي تحمي التنظيم من اختراق البوليس له، والمواقف التي يجب على العضو اتخاذها أمام النيابة والقضاء[٥٦].

وفي الإطار العلني الأوسع، كان اندلاع الحرب إيذاناً بنهاية دور "عصبة أنصار السلام" حيث لم يعد ثمة معنى لاستمرارها، فاتخذت قراراً بحل نفسها، لكن قرر كثيرون من أعضائها استمرار نشاط العصبة الثقافي باسم جديد هو "مجموعة الدراسات" التي وجهت عملها لفهم الواقع

---

[٥٢] أحمد صادق سعد، مصدر سابق، ص٣٩ ـ ٤٠.

[53] Botman, op.cit, p.29.

[54] Kramer, op.cit, p.172.

[٥٥] أبوسيف يوسف، مصدر سابق، ص٤٥ ـ ٤٦؛ وحول رؤية لينين راجع: لينين، موضوعات نيسان، دار الطبع والنشر باللغات الأجنبية ـ موسكو، د.ت، ص٤٣ ـ ٤٤.

[٥٦] أحمد صادق سعد، مصدر سابق، ص٤٣.

المصري[٥٧]، وفي هذا السياق بدأت هذه المجموعة في إعداد دراسات عن المجتمع المصري وبشكل خاص عن الفلاحين[٥٨].

وقد انفتحت مجموعة الدراسات ـ رغم غلبة الأجانب على عضويتها ـ على المثقفين المصريين الراديكاليين الشبان، فبدأ يتردد على مقرها عدد من طلاب الجامعة كما قُدمت فيها محاضرات عديدة؛ فألقى يوسف درويش محاضرة بالعربية عن تدفق رؤوس الأموال الأجنبية على مصر في نهاية القرن التاسع عشر، وألقى صادق سعد محاضرة بالفرنسية عن الحركة العمالية المصرية، واشترك ريمون دويك وطالب الفلسفة محمد إسماعيل محمد في تقديم محاضرة بالعربية عن أوضاع الصحافة العربية، وأعد ديكومب محاضرة بالفرنسية عن كهربة خزان أسوان[٥٩].

وضمن هذه المجموعة، بدأ الثلاثي المصري يوسف درويش وصادق سعد وريمون دويك يفكرون في نقلة نوعية تجعلهم أكثر ارتباطاً بواقعهم المصري وخاصة بطبقاته الشعبية؛ فاتصلوا عام ١٩٤٠ ببعض الشبان الذين فتحوا فصولاً دراسية لمحو الأمية وتقوية طلاب المرحلة الثانوية بحي السبتية بالقاهرة وتعاونوا معهم لفترة، لكنهم سرعان ما تركوهم حين وجدوا عملهم "قليل الجدية"، غير أن الفكرة نفسها اجتذبت الشبان الثلاثة "كوسيلة للاتصال بالشعب"، فأسسوا جمعية أسموها "جماعة الشباب للثقافة الشعبية" وفتحوا من خلالها فصولاً لمحو الأمية في أماكن عدة "خاصة بمنطقة ورشة القطن بحي بولاق وهي منطقة عمالية عريقة سكن فيها يوسف درويش بعد زواجه"، وأيضاً "في قرية ميت عقبة من نواحي امبابة، التي كان يقيم فيها أحد أصدقاء ريمون دويك"[٦٠].

ويبدو أن هذا التوجه لدى الشبان الثلاثة قد لاقى هوى في نفس ديكومب، الذي كان يعلق عليهم كمصريين أهمية خاصة في التعامل مع واقعهم وطرح قضية الاشتراكية عليه[٦١]، فبدأ الرجل يدفعهم منذ عام ١٩٤١ للابتعاد عن "مجموعة الدراسات" ذات الطابع الأجنبي والعمل مستقلين[٦٢]، وهكذا أصبح الثلاثة مع الوقت "خلية منفصلة عن الأجانب" تختص بالنشاط في الأوساط الشعبية المصرية[٦٣].

---

(57) Botman, op.cit, p.8.

(٥٨) رفعت السعيد، الصحافة اليسارية، ضمن: تاريخ الحركة الشيوعية، مج٢، ص١١٨.

(٥٩)أبوسيف يوسف، مصدر سابق، ص٤٦ ـ ٤٧.

(٦٠) أحمد صادق سعد، مصدر سابق، ص٤٣.

(٦١) Botman, op.cit, p.8.

(٦٢) عبد القادر ياسين، الحركة الشيوعية المصرية، ص٥٥.

(٦٣) أحمد صادق سعد، مصدر سابق، ص٤٤.

ومع هجوم هتلر على الاتحاد السوفيتي في منتصف ١٩٤١، اتجه اليونانيون في المجموعة للالتحاق بجيش التحرير اليوناني وانخرط الإيطاليون في المقاومة لإسقاط نظام موسوليني الفاشي وتأهب الكثيرون من الأجانب للعودة إلى بلادهم، فأسهم هذا التطور في تعزيز شرعية استقلال الخلية المصرية الثلاثية لتكافح هي أيضاً في واقعها المصري[٦٤].

وعلى إثر استقلال خليتهم، عقد الشبان الثلاثة اجتماعاً ناقشوا فيه خطة عملهم المقبلة، فاتخذوا قراراً بأن يكون هدفهم الأول هو فهم وتحليل الأوضاع المصرية من شتى النواحي، حتى يتمكنوا من "رسم الأسس للفكر الماركسي المصري" وتحديد ملامح ما أسموه "السياسة الشيوعية المصرية"، وذلك على خلفية قناعتهم بأن المعلومات المستقاة من الكتب لا يمكن أن تشكل وحدها جذوراً للمعرفة، وأن طريق مصر نحو الاشتراكية له خصائصه ومميزاته التي تجعله يختلف بالضرورة عن ظروف النضال في البلاد الأخرى[٦٥].

ومع اقتراب جحافل النازي من مصر نفسها عام ١٩٤٢ واشتعال معارك الصحراء الغربية، هاجر معظم من تبقي من أعضاء "مجموعة الدراسات" الأجانب إلى فلسطين، فاجتمع درويش وسعد ودويك لمناقشة موقفهم، خاصة وأن ثلاثتهم يهود ــ وشيوعيون ــ ما يعرضهم للخطر الشديد في حال سقوط مصر في قبضة الألمان، لكنهم مع ذلك ارتأوا أن من الخطأ مغادرة البلد وقرروا البقاء فيها ومحاربة الفاشية[٦٦].

ولما كان يوسف درويش محامياً مهتماً بالشأن العمالي، فقد عرضت عليه في تلك الفترة قضية عمالية صغيرة اتصل عن طريقها ببعض زعماء العمال في نقابة عمال النسيج الميكانيكي بشبرا الخيمة مثل محمود العسكري ومحمد يوسف المدرك وطه سعد عثمان[٦٧]، فأخذ نشاطه يتسع في هذا الميدان وبدأ ينقطع شيئاً فشيئاً عن "جماعة الشباب للثقافة الشعبية"[٦٨]، وهنا اتفق رجال الخلية الثلاثية على العمل في شعبتين

---

[٦٤]أبوسيف يوسف، مصدر سابق، ص٤٦.

[٦٥] أحمد صادق سعد، مصدر سابق، ص٤٧ ــ ٤٨؛ وراجع أيضاً: رفعت السعيد، تاريخ المنظمات، ضمن: تاريخ الحركة الشيوعية، مج٣، ص٢٠٥.

[66]Botman, op.cit, p.11.

[٦٧] حول هذه النقابة وأهم أدوارها في أواخر الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات راجع: طه سعد عثمان، مذكرات ووثائق، الكتاب الثاني، ص٧٤ ــ ٧٨.

[٦٨] أحمد صادق سعد، مصدر سابق، ص٤٥؛ وحول تفاصيل أخرى بخصوص علاقة يوسف درويش بالقادة العماليين راجع: وائل عبد الفتاح، يوسف درويش: رحلة الرجل الحديدي "حوار مع يوسف درويش"، الحلقة الرابعة: اليهود الخمسة، ١٥ نوفمبر ٢٠٢١، medinaportal.com

منفصلتين: صادق سعد وريمون دويك يعملان وسط المثقفين، بينما يعمل يوسف درويش مع رفاقه من القادة النقابيين وسط العمال، على أن يكون صادق سعد مسئول الاتصال بين الشعبتين[٦٩].

وقد نشطت الشعبة العمالية برعاية يوسف درويش نشاطاً واسعاً على المستويين النقابي والسياسي، وركزت صلاتها على الجناح الاستقلالي للحركة العمالية الذي يستهدف تخليص النقابات من سيطرة البرجوازية، وكان من أبرز أدوار هذه الشعبة قيادة المعركة الانتخابية لترشيح فضالي عبد المجيد عبد الجواد لعضوية البرلمان عن دائرة شبرا الخيمة عام ١٩٤٤[٧٠]، ثم تأسيس "اللجنة التحضيرية لمندوب نقابات عمال مصر"[٧١] وكذلك "لجنة العمال للتحرير القومي" في العام التالي[٧٢].

أما شعبة المثقفين، فقد تعاونت عام ١٩٤٢ ـ ١٩٤٣ مع أعضاء في "حركة تحرير الشعب ـ حتش" في إقامة جمعية ثقافية يسارية هي "لجنة نشر الثقافة الحديثة"، وكان مقرها بمسكن سعيد خيال المحامي[٧٣]، ومن خلال التواجد في هذه اللجنة أقام صادق سعد وريمون دويك صلات مع عدد من المثقفين المصريين الشبان، فتعرفا على أحمد رشدي صالح الذي كان يعمل مذيعاً بالإذاعة[٧٤]، وكذلك على عبد الرحمن الشرقاوي

---

[٦٩] رفعت السعيد، الصحافة اليسارية، ضمن: تاريخ الحركة الشيوعية، مج٢، ص١٢٠.

[٧٠] أحمد صادق سعد، مصدر سابق، ص٥٢ ـ ٥٣.

[٧١] أسس رجال هذه المجموعة ـ وهي الجناح العمالي لما سيعرف فيما بعد "بجماعة الفجر الجديد" ـ بقيادة يوسف درويش ومحمد يوسف المدرك ومحمود العسكري وطه سعد عثمان تلك اللجنة لتكون ذراعاً نقابياً لهم ولتقود الدعوة في أوساط العمال لانتخاب محمد يوسف المدرك كمندوب عن عمال مصر في "مؤتمر اتحاد نقابات العمال العالمي" بباريس في سبتمبر ١٩٤٥؛ راجع: طه سعد عثمان، مذكرات ووثائق من تاريخ عمال مصر، الجزء الرابع: وحدة الحركة العمالية في مصر والعالم، القاهرة، ١٩٩٤، ص١٠ ـ ١٢.

[٧٢] أسس الجناح العمالي لجماعة الفجر الجديد "لجنة العمال للتحرير القومي" في ٨ أكتوبر ١٩٤٥ لتكون "الهيئة السياسية للطبقة العاملة"، وقد اتخذت اللجنة مجلة "الضمير" منبراً لها؛ حول تأسيس اللجنة راجع: محمود العسكري، مصدر سابق، ص٢١٠ ـ ٢١٨.

[٧٣] أحمد صادق سعد، مصدر سابق، ص٤٦.

[٧٤] ولد أحمد رشدي صالح "١٩٢٠ ـ ١٩٨٠" في قرية الشيخ تمي ـ مركز أبوقرقاص بمحافظة المنيا، وتخرج من قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ـ القاهرة حالياً ـ عام ١٩٤١، والتحق بالإذاعة اللاسلكية عقب تخرجه مباشرة ثم استقال منها عام ١٩٤٥ ليتفرغ لإصدار مجلة "الفجر الجديد"، وكان فيما بعد من أبرز المتخصصين في قضايا الأدب الشعبي والفلكلور المصري؛ حول مزيد من التفاصيل عن حياة أحمد رشدي صالح راجع: محمد الجوهري، رشدي صالح والفولكلور

ونعمان عاشوروسعد مكاوي، كما تعرفا بأبوسيف يوسف عن طريق محمد إسماعيل محمد وبعلي الراعي عن طريق أحمد رشدي صالح[٧٥].

ونظمت هذه الجمعية محاضرات تقدمية عديدة واستأجرت مجلة "الأسبوع"[٧٦]، كما نشرت مجموعة من الكتب كان من أهمها "مشكلة قناة السويس" لأحمد رشدي صالح[٧٧]، وأنشأت الجمعية كذلك دار نشر سميت "دار القرن العشرين" بإدارة ريمون دويك، وقد حاولت هذه الدار من خلال إصداراتها تطبيق مفاهيم الماركسية على المجتمع المصري وتكييفها بما يناسب ظروفه المحلية[٧٨]، وكان من أهم هذه الإصدارات ترجمة أحمد رشدي صالح لكتاب إلينور بيرنز "الاستعمار البريطاني في مصر" ثم دراسة رشدي نفسه "كرومر في مصر" وكتاب صادق سعد "مشكلة الفلاح"، وحين صدرت مجلة "الفجر الجديد" اتخذت دار القرن العشرين مقرها في نفس الشقة في حي الفوالة وأصبحت مركزاً لتوزيع الكتب والمجلات الماركسية العربية ـ وخاصة اللبنانية والعراقية ـ في مصر، وتوزيع الكتب المصرية في البلاد العربية[٧٩].

وخلال هذه الفترة، كان القادة والأعضاء الأجانب في مجموعة الدراسات قد عادوا من فلسطين وعلى رأسهم ديكومب، فعقد رجال الخلية المصرية الثلاثية اجتماعات في بيته تم خلالها تكريس وتأكيد استقلالية خليتهم عن الحلقة الأم، خاصة بعد نجاح نشاطاتهم المستقلة خلال فترة غياب القادة الأجانب[٨٠]، وإن ظلت الحلقة الأجنبية الأم تقدم بعض أشكال الدعم الفكري والمالي للخلية المصرية الثلاثية بعد ذلك[٨١].

ورغم أهمية الدور الذي قامت به "لجنة نشر الثقافة الحديثة"، فإن تواجد صادق سعد وريمون دويك فيها لم يستمر طويلاً؛ ففي عام ١٩٤٥ نشب خلاف بينهما وبين قادة اللجنة سعيد خيال ومصطفى كامل منيب، فاقترح مصطفى كامل منيب على سعيد خيال إبعادهما عنها على خلفية

المصري: دراسة لأعماله وفصول من تأليفه، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة، ٢٠٠٣، ص١٧ ـ ٣٢.

[٧٥] رفعت السعيد، الصحافة اليسارية، ضمن: تاريخ الحركة الشيوعية، مج٢، ص١٢١.

[٧٦] عبد القادر ياسين، الحركة الشيوعية المصرية، ص٥٥ ـ ٥٦.

[٧٧]أبوسيف يوسف، مصدر سابق، ص٩٤٣.

[٧٨] رول ماير، البحث عن الحداثة: الفكر السياسي العلماني الليبرالي واليساري في مصر ١٩٤٥ ـ ١٩٥٨، دار ميريت ـ القاهرة، ٢٠٠٩، ص١٥٤.

[٧٩] أحمد صادق سعد، مصدر سابق، ص٤٦ ـ ٤٧.

[٨٠] نفسه، ص٤٧.

[٨١] رفعت السعيد، تاريخ المنظمات، ضمن: تاريخ الحركة الشيوعية، مج٣، ص١١٧.

كونهما يهوديان، ليغادر الرجلان اللجنة آسفين على صدور مثل ذلك الموقف العنصري عن شباب تقدمي[٨٢].

ومع إبعاد سعد ودويك عن اللجنة، استقر رأي الخلية الثلاثية على إصدار مجلة ماركسية علنية، واتُفق على تسميتها "الفجر الجديد"[٨٣]، ولما كان أحمد رشدي صالح هو الأقدر على الحصول على ترخيص لإصدار المجلة الجديدة لكون والد زوجته يعمل في وزارة الداخلية[٨٤]، فقد تم الاتفاق على أن يكون هو صاحب امتيازها ورئيس تحريرها[٨٥].

وقد أثار رشدي منذ البداية مسألة تمويل المجلة المزمع إقامتها وأصر على معرفة مصدره المحتمل، فاضطر صادق سعد وريمون دويك إلى أن يشرحا له طبيعة علاقتهما بالحلقة الأجنبية السرية التي تعمل خلف "مجموعة الدراسات"، وأوضحا له أنها هي من سيمول إصدار المجلة في مرحلتها الأولى، وعلى هذا الأساس وافق رشدي على الانضمام إلى الخلية الثلاثية، التي صارت بذلك رباعية[٨٦].

تأسيساً على هذا، يظهر لنا خطأ ما زعمه المؤرخ السوفيتي سيرانيان من أن "الحركة المصرية للتحرر الوطني" قد اشتركت مع "لجنة العمال للتحرير القومي" و"اللجنة التحضيرية" في إصدار "الفجر الجديد" وشقيقتها العمالية "الضمير" عام ١٩٤٥[٨٧]، وهو الزعم الذي حرص صادق سعد على نفيه بقوة مؤكداً أن "الحركة المصرية للتحرر الوطني – حمتو لم يكن لها يد إطلاقاً في إصدار مجلتي الضمير والفجر الجديد، كما هو ثابت من الوقائع ومن الخلافات بين هذين الطرفين: حلقتنا وحمتو ثم حدتو"[٨٨].

***

صدر العدد الأول من مجلة "الفجر الجديد" في ١٦ مايو ١٩٤٥، بعد أيام قليلة من استسلام ألمانيا ونهاية الحرب العالمية الثانية على الجبهات

---

(٨٢) أحمد صادق سعد، مصدر سابق، ص٤٩ – ٥٠.

(٨٣) رفعت السعيد، الصحافة اليسارية، ضمن: تاريخ الحركة الشيوعية، مج٢، ص١٢١.

(٨٤) لمعي المطيعي، هؤلاء الرجال من مصر، الجزء الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩، ص٢٧.

(٨٥) أبوسيف يوسف، مصدر سابق، ص٥٤.

(٨٦) رفعت السعيد، الصحافة اليسارية، ضمن: تاريخ الحركة الشيوعية، مج٢، ص١٢١ – ١٢٢.

(٨٧) سيرانيان، مرجع سابق، ص١٠٣.

(٨٨) أحمد صادق سعد، مصدر سابق، ص٥٠.

الأوربية،[٨٩]، وقد استهلت المجلة الناشئة مسيرتها بقصيدة احتفى فيها الشاعر الشاب عبد الرحمن الشرقاوي بصدورها، يقول مطلعها:

أيها الضارب في الليل هنا الفجر الجديد
أيها الحائر في اليم هنا البر السعيد
يا ثكالى الأمس كفكفن فإن اليوم عيد
يا عذارى، ضجت النشوة في قلب الوجود[٩٠].

وصدر العدد الأخير من الفجر الجديد في ١٠ يوليو ١٩٤٦، حيث بدأت في اليوم التالي ـ ١١ يوليو ١٩٤٦ ـ حملة إسماعيل صدقي الشهيرة ضد التنظيمات والجمعيات والصحف ودور النشر اليسارية والوفدية والتي عرفت فيما بعد ب"قضية الشيوعية الكبرى"[٩١]، وبذلك استمرت الفجر الجديد في الصدور لما يقرب من ١٤ شهراً عاصرت خلالها لحظة من أهم لحظات صعود الحركة الوطنية المصرية وهي انتفاضة ١٩٤٦ وتشكيل "اللجنة الوطنية للعمال والطلبة" وما تلا ذلك من احتقان سياسي على خلفية مفاوضات صدقي ـ بيفن، وخلال هذه الفترة ـ القصيرة نسبياً ـ صدر منها ٤٢ عدداً، وإن كان العدد السابع والثلاثون لم يظهر للنور، وكان من المفترض أن يصدر يوم ٥ يونيو ١٩٤٦.

وفي البداية، صدرت الفجر الجديد نصف شهرية ـ أي كل أسبوعين ـ واستمر ذلك منذ عددها الأول حتى العدد الثاني عشر بتاريخ أول نوفمبر ١٩٤٥، وفي نهاية عددها الحادي عشر أعلنت المجلة لقرائها نيتها التحول إلى الصدور الأسبوعي طالبة منهم دعمها مالياً لإسناد هذا التحول[٩٢]، لكن الأمور ـ على ما يبدو ـ لم تسر بسلاسة ومرت الفجر الجديد بفترة من الصدور غير المنتظم؛ فصدر عددها الثالث عشر دون تاريخ، وصدر الرابع عشر بعد فترة طويلة نسبياً بتاريخ ٦ ديسمبر ١٩٤٥، والخامس عشر بعد عشرة أيام في ١٦ ديسمبر من العام نفسه، ورغم أن الفجر نوهت في ذلك العدد عن صدورها أسبوعياً ابتداء من ٤ يناير ١٩٤٦[٩٣]، إلا أن الاضطراب استمر فلم يصدر العدد التالي وهو السادس

---

[٨٩]أبوسيف يوسف، مصدر سابق، ص٨٩٢.

[٩٠] راجع نص القصيدة في: الفجر الجديد، مج١، ع١، ١٦ مايو ١٩٤٥، الفجر الجديد "عبد الرحمن الشرقاوي المحامي"، ص٢.

[٩١] راجع حول القضية وعلاقة الفجر الجديد بها: عادل أمين، محاكمة الشيوعيين المصريين ـ قضية سنة ١٩٤٦ "حملة إسماعيل صدقي ضد العناصر الوطنية والديموقراطية"، القاهرة، ١٩٩٦، ص١١ ـ ٢٨.

[٩٢] الفجر الجديد، مج١، ع١١، ١٥ أكتوبر ١٩٤٥، إلى أصدقاء الفجر الجديد والمشتركين فيه وقرائه "لجنة التحرير"، ص٢٥٦.

[٩٣] الفجر الجديد، مج١، ع١٥، ١٦ ديسمبر ١٩٤٥، ص٣٤٠ ـ ٣٤١.

عشر إلا في ١١ يناير ١٩٤٦، ثم صدر السابع عشر في ١٩ يناير ١٩٤٦، والثامن عشر في ٢٣ يناير، ولم يبدأ الصدور الأسبوعي المنتظم فعلياً إلا بعد ذلك العدد، فمنذ ذلك الحين وحتى نهاية تجربتها القصيرة صدرت الفجر الجديد يوم الأربعاء من كل أسبوع.

وفي المرحلة الأولى من صدور الفجر الجديد كان يغلب على مادتها الطابع الثقافي، حيث لم تكن الأحكام العرفية قد ألغيت بعد في مصر، وكانت الرقابة تحذف كل مصطلح أوعبارة من شأنها أن تسيئ إلى العلاقات مع "الحليفة" بريطانيا[٩٤]، واتساقاً مع هذا التوجه الثقافي حملت المجلة منذ عددها الأول شعار "مجلة الثقافة الحرة" الذي استمر حتى العدد الثاني عشر، كما ظهرت منذ العدد السابع وحتى العدد الثاني عشر أيضاً "ترويسة" داخلية حملت كلمة دالة هي "نحن نجاهد لكي لا يندم أحد على الحياة".

ومع ظهور نوايا التحول الى الصدور الأسبوعي، قررت المجموعة المؤسسة للفجر الجديد ـ بعد رفع الأحكام العرفية[٩٥] ـ أن تتخلى عن حذرها وتحولها إلى مجلة سياسية[٩٦]، ومن هنا تغير شعارها منذ العدد الثالث عشر إلى "مجلة التحرر القومي والفكري"، وهو الشعار الذي رافقها حتى عددها الأخير.

وقد ارتبط هذا التحول السياسي بتطور شكل الغلاف، فظهرت على غلاف العدد الثالث عشر ـ مثلاً ـ لوحة تشكيلية تمثل الثورة المصرية عام ١٩١٩ بريشة الفنان اليوناني جورج ديموس[٩٧]، كما تغير منذ ذلك الحين تصميم الغلاف بما يسمح باستغلال المساحة البيضاء لتقديم رسوم كاريكاتورية وفقاً للمناسبة التي يصدر فيها العدد أو طبقاً للقضايا ذات الأولوية عند هيئة تحرير المجلة[٩٨].

وفي البداية، كان مقر إدارة المجلة يقع في ٣٢ ش إبراهيم باشا، ومنذ العدد الثالث تغير المقر إلى ٣٥ ش شريف باشا، ليتغير مجدداً في العدد الرابع والعشرين إلى "شارع البنك الوطني"[٩٩]، وفي نهاية المطاف تخلت الفجر الجديد منذ عددها الخامس والعشرين ـ تحت وطأة أزمتها المالية كما

---

[٩٤]أبوسيف يوسف، مصدر سابق، ص٨٩٢ ـ ٨٩٣.

[٩٥] تم رفع الأحكام العرفية في مصر في ٧ أكتوبر ١٩٤٥؛ راجع: الرافعي، مصدر سابق، ص١٨٥.

[٩٦] أبوسيف يوسف، مصدر سابق، ص٨٩٢.

[٩٧] رفعت السعيد، الصحافة اليسارية، ضمن: تاريخ الحركة الشيوعية، مج٢، ص١٢٣.

[٩٨]أبوسيف يوسف، مصدر سابق، ص٨٩٢ ـ ٨٩٣.

[٩٩] رفعت السعيد، الصحافة اليسارية، ضمن: تاريخ الحركة الشيوعية، مج٢، ص١٢٣.

سنشرح بعد قليل ـ عن مقر إدارتها الثابت واكتفت بوضع عنوان لمراسلتها هو "ص.ب ١٩٢٤ ـ القاهرة"[١٠٠]، وهو الوضع الذي استمر حتى نهاية تجربتها[١٠١].

وبشكل أساسي، ضمت هيئة تحرير الفجر الجديد: أحمد رشدي صالح وريمون دويك وأبوسيف يوسف، وكان صادق سعد يشارك في معظم اجتماعاتها، وقد واجه هؤلاء الشبان الطموحون على امتداد فترة صدور المجلة صعوبات شتي؛ كان في مقدمتها أنهم جميعاً ـ بمن فيهم رئيس التحرير ـ لم يكونوا صحفيين محترفين، وهو ما انعكس بوضوح في ضعف الجانب الفني في المجلة، فكان الاعتماد على محتواها الفكري بالأساس، ويرتبط بهذا الأمر أيضاً أن جميع كتاب المجلة في مرحلتها الأولى كانوا متطوعين، ثم تفرغ رئيس التحرير في أوائل ١٩٤٦ على الأرجح[١٠٢]، وتفرغ أبوسيف يوسف سكرتيراً للتحرير في مارس ١٩٤٦، وإن كان قد قام بهذا العمل فعلياً قبل هذا التاريخ بفترة[١٠٣].

وبالإضافة إلى هيئة تحريرها، أسهم بالكتابة في الفجر الجديد ـ وشارك في وضع تصورها قبل صدورها أيضاً ـ فريق كبير من المثقفين الماركسيين والتقدميين الشبان من أعضاء "لجنة نشر الثقافة الحديثة"، الذين صار بعضهم من نجوم الفكر والأدب في مصر؛ ومن هؤلاء: أمين تكلا ـ نعمان عاشور ـ راؤول مكاريوس ـ سعيد خيال ـ عبد الرحمن الشرقاوي ـ سعد مكاوي ـ مصطفى كامل منيب ـ أسعد حليم ـ زكي هاشم[١٠٤].

كما انفتحت الفجر الجديد أيضاً على مختلف التنظيمات الماركسية القائمة، فشارك في تحريرها بعض المثقفين الماركسيين الذين انتظموا في "حمتو" و"إسكرا ـ الشرارة"؛ مثل كمال عبد الحليم ومحمد خليل قاسم ومحمود توفيق ومحمد يوسف الجندي ولطيفة الزيات وأنور عبد الملك وشهدي عطية الشافعي وإبراهيم سعد الدين[١٠٥]، فضلاً عن مجموعة من

---

(١٠٠) راجع: الفجر الجديد، مج٢، ع٢٥، ١٣ مارس ١٩٤٦، ص٥٥٠.

(١٠١) راجع: الفجر الجديد، مج٢، ع٤٢، ١٠ يوليو ١٩٤٦، ص٩٠٦.

(١٠٢)أبوسيف يوسف، مصدر سابق، ص٨٩٣ ـ ٨٩٤.

(١٠٣) كان أبوسيف يوسف من كتاب الفجر الجديد منذ عددها الأول، لكنه لم ينضم إلى أسرة تحريرها رسمياً إلا في عددها الرابع والعشرين؛ راجع: الفجر الجديد، مج٢، ع٢٤، ٦ مارس ١٩٤٦، تحية إلى زميل "التحرير"، ص٥٢٧؛ وابتداء من العدد السادس والعشرين ظهر اسم أبوسيف يوسف في ترويسة المجلة إلى جانب أحمد رشدي صالح كسكرتير للتحرير؛ راجع: الفجر الجديد، مج٢، ع٢٦، ٢٠ مارس ١٩٤٦، ص٥٦٦.

(١٠٤)أبوسيف يوسف، مصدر سابق، ص٨٩٤.

(١٠٥) رفعت السعيد، الصحافة اليسارية، ضمن: تاريخ، مج٢، ص١٣٠.

المثقفين الوطنيين والماركسيين الشبان المستقلين عن التنظيمات؛ ومنهم يوسف الشاروني وعبد القادر القط ومحمود الشنيطي والآنسة نور شريف[١٠٦].

ونشرت المجلة كذلك لكتاب ومبدعين تقدميين عرب؛ فظهرت على صفحاتها أسماء كتاب معروفين وناشئين؛ مثل رئيف خوري وقدري قلعجي "لبنان"، ووصفي البني وعدنان البني والشاعر عبد المعين الملوحي "سوريا"، وعلي جليل الوردي "العراق"[١٠٧]، ومخلص عمرو من فلسطين.

ومن الجدير بالذكر، أن كثيراً من مقالات الفجر الجديد على امتداد فترة صدورها وُقعت بأسماء مستعارة؛ فوقع أحمد رشدي صالح مقالاته باسمه وبأسماء "جهاد" و"أبو عمر" وبالأحرف الأولى "أ.ر" و"أ.ر.ص"، وكتب أبوسيف يوسف باسمه كما وقع بأسماء "رأفت يوسف" و"أبوسيف" و"أ.ي.أبوسيف" و"أ.ي"، وكتب صادق سعد باسمه وأحياناً باسم "أحمد سعيد" و"ص.س" و"ص"، وكتب محمد إسماعيل محمد باسم "إسماعيل محمد" و"إسماعيل يحيى" وأحياناً بالأحرف الأولى من اسمه الثلاثي "م.إ.م"، كما نشر يوسف درويش بعض المقالات عن الشئون العمالية في المجلة بتوقيع "حسن زكي" و"محمد عبد المجيد"[١٠٨]، وفي إطار الظاهرة نفسها، كان ريمون دويك في البداية يحرر باب "حركة العالم في أسبوعين" بدون توقيع، ثم وقع مقالاته بعد ذلك باسم "إبراهيم الكاشف" و"محمد أمين"، وكتب علي الراعي باسمه وبأسماء "علي الكاتب" و"حسن زاهر" و"رأفت"[١٠٩].

وقد فسر الدكتور رفعت السعيد هذه الظاهرة تفسيراً فنياً بحتاً، عازياً إياها إلى قلة عدد محرري الفجر الجديد في بداية الأمر وكتابة الواحد منهم أكثر من مقال في العدد الواحد، ما اضطرهم ـ دفعاً للتكرار والملل ـ إلى التوقيع في أحيان كثيرة بأسماء مستعارة[١١٠]؛ وفي المقابل عزا الأستاذ أبوسيف يوسف الأمر إلى ضغوط على كُتاب الفجر الجديد من جهات عملهم الرسمي، حيث "كانوا يخيرون بين أن يتركوا عملهم الذي يتعيشون منه وبين أن يكتبوا في المجلة، وهو ما حدث فعلاً مع أحمد رشدي صالح وعلي الراعي وريمون دويك وأبوسيف يوسف"[١١١].

---

[١٠٦] أبوسيف يوسف، مصدر سابق، ص٨٩٥.
[١٠٧] نفس المصدر والصفحة.
[١٠٨] نفسه، ص٨٩٤.
[١٠٩] رفعت السعيد، الصحافة اليسارية، ضمن: تاريخ، مج٢، ص١٢٩ ـ ١٣٠.
[١١٠] نفسه، ص١٢٩.
[١١١] أبوسيف يوسف، مصدر سابق، ص٩٣٣.

وفي واقع الأمر، فإننا نميل إلى تبني التفسيرين معاً حسب ظروف كل حالة، مع أرجحية معينة للتفسير الفني الخاص بعدم الرغبة في تكرار الأسماء لأكثر من مرة في العدد الواحد، فمن الوارد بالفعل أن ثمة ضغوطاً قد وقعت على بعض كتاب الفجر الجديد أحياناً كي يكفوا عن الكتابة بها، إلا أن الاعتبار الصحفي الفني بعدم التكرار ربما كان التفسير الغالب، خاصة وأن الأسماء الحقيقية للكُتاب غالباً ما ظهرت أسفل مقالاتهم حتى مع وجود توقيعاتهم المستعارة على مقالات أخرى.

وإذا انتقلنا الآن إلى موضوع آخر وهو أهم تقسيمات الفجر الجديد وأبوابها، فمن الممكن اتخاذ عددها الأول كنقطة ارتكاز على هذا الصعيد، وقد جاءت افتتاحيته ـ كما أشرنا منذ قليل وكما حدث غالباً بعد ذلك ـ بقلم رئيس التحرير أحمد رشدي صالح، وإن ظهرت في بعض الأعداد افتتاحيات موقعة بأسماء كتاب آخرين أو باسم هيئة تحرير المجلة.

وبعد الافتتاحية، جاءت مجموعة من المقالات المنفردة حتى وصلنا إلى باب "حركة العالم في أسبوعين"، الذي كان معنياً بالتعليق على أهم الأحداث السياسية العربية والدولية طوال الأسبوعين السابقين، وقد ظهر هذا الباب بذلك الإسم حتى العدد ١٥ وغاب في العدد التالي ليعود للظهور في العدد ١٧ ـ مع الاتجاه للصدور الأسبوعي ـ باسم "حركة العالم في أسبوع"، وفي البداية كان هذا الباب يظهر دون توقيع، ثم ظهر في العدد ١١ وما بعده بتوقيع إبراهيم الكاشف ـ ريمون دويك ـ ليختفي في الأعداد ١٩ ـ ٢٤ ويعاود الظهور في العددين ٢٥ و٢٧ بذات التوقيع، وفي العددين ٣١ ـ ٣٢ ظهر هذا الباب مجدداً بتوقيع أنور عبد الملك، وفي العددين ٣٤ و٣٦ ظهر بتوقيع أمين حسني، ليتوقف بعد ذلك إلى أن يظهر ظهوره الأخير في العدد ٤١ ـ قبل الأخير ـ بدون توقيع.

وبالعودة للعدد الأول كأساس، تعود بعد ذلك المقالات المنفردة حتى نصل إلى باب "في القصص"، الذي عني بنشر قصص قصيرة لشباب الكتاب وكذلك بعض القصص المترجمة، وقد روعي في اختيار هذه القصص أن تتناول العالم من منظور أدبي واجتماعي تقدمي، وكانت أول قصة ينشرها هذا الباب للكاتبة الشابة لطيفة الزيات ـ أستاذة الأدب الإنجليزي والروائية الكبيرة فيما بعد ـ بعنوان "الله يريد"، التي عرضت في مشهد دال مظاهر التفاوت والظلم الاجتماعي في الريف المصري[١١٢].

---

[١١٢] راجع: الفجر الجديد، مج١، ع١، ١٦ مايو ١٩٤٥، في القصص ـ الله يريد "لطيفة الزيات"، ص٤١٦؛ وراجع أول قصة مترجمة نُشرت في هذا الباب في: الفجر الجديد، مج١، ع٣، ١٦ يونيو ١٩٤٥، في القصص ـ فتاة الجوقة "تشيكوف"، ترجمة: سعد مكاوي، ص٦١ ـ ٦٢، ٦٤.

وفي نهاية العدد الأول يظهر باب "بين الصحف والكتب والحياة"، الذي كان معنياً بعرض بعض الأفكار والكتابات الجديدة وانتقاد الكتابات ذات الطابع البرجوازي أو المعادية لليسار، وقد حقق هذا الباب ـ وخاصة جانبه السجالي ـ شعبية لدى شريحة من القراء، فطالب أحدهم بعودته بعد توقفه ليستمر في "نقد الكتب والصحف المضللة والرجعية وفضح الكُتاب المضللين والرجعيين"[١١٣]، فعاد بعد ذلك بأسماء أخرى وإن تغيرت طبيعته مع الوقت، ليقتصر في النهاية على عرض الأخبار والتعليقات من الصحافة المصرية والدولية.

ومن أهم أبواب الفجر الجديد أيضاً باب "بريد الفجر الجديد"، الذي ظهر بداية من عددها السابع وبدأت فيه المجلة تنشر مقتطفات من رسائل قرائها تعزيزاً للتواصل معهم، واللافت أن الفجر الجديد قد كرست في هذا الباب المغزى "التوجيهي" لدورها موضحة أن ذلك التوجيه ينبغي أن يكون متبادلاً "نرجو ـ من القراء ـ أن يوالونا بالرسائل حاملة ملاحظاتهم وتوجيهاتهم لنا، كما نرجو أن يجدو في هذا الباب ملاحظات وتوجيهات لهم"[١١٤].

ولعل هذا الدور التوجيهي بالذات، يُظهر رغبة المجلة ليس فقط بالتواصل العادي مع القراء، بل أيضاً في ربط قرائها بها سياسياً وإيديولوجياً، وهو أمر استمر بعد ذلك بشكل مقصود[١١٥].

ويظهر لنا في الفجر الجديد ـ ربما بحكم ما سبقت الإشارة إليه من ضعف الفن الصحفي فيها ـ سمة هامة، هي الاعتماد بشكل أساسي على المقالات المنفردة وعدم انتظام أبوابها الثابتة، سواء على مستوى توقيتات صدورها أو حتى على مستوى أسمائها ذاتها في بعض الأحيان، ومن ذلك أن باب البريد ـ وهو من أكثر أبوابها أهمية ـ قد عانى من انقطاع طويل؛ حيث استمر يصدر بانتظام منذ العدد السابع حتى العدد الرابع عشر ثم

---

[١١٣] الفجر الجديد، مج١، ع١٢، أول نوفمبر ١٩٤٥، صوت مصر الحر "سليمان مهدي ـ بغداد"، ص٢٧٣.

[١١٤] الفجر الجديد، مج١، ع٧، ١٦ أغسطس ١٩٤٥، بريد الفجر الجديد، ص١٥٩.

[١١٥] في بريد العدد التاسع من الفجر الجديد، ظهر تصدير ملفت من المحرر جاء فيه "كان هدف الفجر الجديد حين أخرج هذا الباب لأول مرة، أن يوجد صلة قوية بين قرائه وبين هيئة التحرير تكون وسيلة لتبادل التوجيه بينهما وتعمل على تحقيق الأهداف التي تسعى المجلة إليها، وقد أعلنا في الأعداد الماضية عن حاجتنا إلى توجيه القراء إيماناً منا بأن شيئاً لا يمكن أن يتم من جهة واحدة، ونحن اليوم نكرر الإعلان حتى تصبح الرسائل التي تصلنا أكثر نقداً وأكبر توجيهاً مما هي الآن"؛ راجع: الفجر الجديد، مج١، ع٩، ١٦ سبتمبر ١٩٤٥، بريد الفجر الجديد، ص٢٠٨.

اختفى طويلاً إلى أن عاد في العدد التاسع والعشرين!!!، ليستمر بعد ذلك حتى نهاية صدور المجلة.

وفي سياق حالة عدم الانتظام نفسها، نلاحظ أن ثمة أبواباً ظهرت لعدد واحد في الفجر الجديد!!؛ ومن ذلك أنه مع توقف باب "بين الصحف والكتب والحياة" في العدد السابع ظهر في العدد الثامن باب لم يستمر بعد ذلك بعنوان "قصاصات من صحف العالم"، وفي العدد الحادي عشر من الفجر الجديد ظهرت صفحة لم تتكرر أيضاً بعنوان "تيارات في الصحف الشقيقة".

وقد ظهرت في الفجر الجديد بعد ذلك أبواب ذات طبيعة فكرية أو طبقية خاصة؛ ومنها باب حرره صادق سعد ـ بتوقيع أحمد سعيد ـ بعنوان "قاموس الاقتصاد السياسي"، وظهر في العددين ١٦ و٢٢ فقط مستهدفاً شرح مصطلحات أساسية في علم الاقتصاد السياسي برؤية ماركسية للقراء.

ومن أهم الأبواب ذات الطبيعة الطبقية التي ظهرت في الفجر الجديد، باب "صوت العامل" الذي عني بمتابعة مختلف قضايا وشكاوى الطبقة العاملة في كافة قطاعاتها ومواقعها، وقد صدر باسمه هذا منذ عددها الثاني والعشرين في ٢٠ فبراير ١٩٤٦ حتى عددها السادس والعشرين بتاريخ ٢٠ مارس ١٩٤٦، ليتوقف بعد ذلك إلى أن يعود بشكل أوسع في العدد الثلاثين بتاريخ ١٧ إبريل ١٩٤٦ باسم جديد هو "مع العمال في نضالهم"، الذي استمر حتى نهاية تجربة الفجر الجديد(١١٦).

وعلى المستوى الطبقي أيضاً، استحدثت الفجر الجديد في عددها الحادي والأربعين باباً جديداً لمتابعة واقع الريف وشئون الفلاحين بعنوان "انصفوا الفلاحين"، لكنه لم يستمر طويلاً وتوقف بنهاية تجربة الفجر الجديد كلياً بعد عددها التالي مباشرة.

---

(١١٦) ارتبط حرص مجلة الفجر الجديد على المتابعة الموسعة للشأن العمالي، بتوقف مجلة "الضمير" ـ التي كان قد أستأجرها الجناح العمالي "لمجموعة الفجر الجديد" لتكون ناطقاً باسم "لجنة العمال للتحرير القومي" كما سبقت الإشارة ـ بعد القبض على صاحب امتيازها ورئيس تحريرها الدكتور عبد الكريم السكري ومعه القادة النقابيين القائمين عليها وهم محمود العسكري ومحمد يوسف المدرك وطه سعد عثمان في بداية يناير ١٩٤٦ ومحاكمتهم بتهمة العمل على قلب نظام الحكم والحض على كراهية الرأسمالية!!، وقد استمر القادة النقابيون معتقلين حتى ٣٠ مايو ١٩٤٦ لتتعطل المجلة طوال هذه المدة، ومع خروجهم من السجن عادت "الضمير" للصدور في ٢٤ يونيو ١٩٤٦ حتى أغلقت نهائياً ضمن المنابر اليسارية التي أطاح بها إسماعيل صدقي في ضربة ١١ يوليو ١٩٤٦؛ راجع حول تجربة مجلة "الضمير": طه سعد عثمان، الصحافة العمالية في الأربعينيات، دار الخدمات النقابية والعمالية، ١٩٩٩، ص٣٩ ـ ٤٤.

***

في عدديها الأولين، صدرت الفجر الجديد في ٢٠ صفحة، وبعد ذلك تطور حجم أعدادها من الثالث ـ الثامن عشر إلى ٢٤ صفحة، ثم عاد في الأعداد من التاسع عشر ـ الحادي والثلاثين إلى ٢٠ صفحة، لتعاود المجلة الصدور بعد ذلك في ٢٤ صفحة من العدد ٣٢ حتى العدد ٣٩، وكان حجم العددين ٤٠ ـ ٤١ هو ٢٠ صفحة، ليعود في العدد الأخير رقم ٤٢ إلى ٢٤ صفحة.

وقد ارتبط تخفيض عدد صفحات الفجر الجديد في بعض المراحل بأزمة الورق في السوق المصري في ظل ظروف الحرب، لكن ثمة وجهاً سياسياً لا يخفى للأمر كانت الفجر الجديد واعية به طوال الوقت، وعبرت عن تبرمها إزاءه صراحة حين خاطبت قراءها في العدد ١٩ قائلة "اضطرت أزمة الورق الفجر الجديد أن تخفض صفحاتها إلى عشرين، ونحن نأسف لهذا التخفيض ونحتج على حرمان الصحف الديموقراطية من الكميات اللازمة لها، بينما يبعثر الورق على الصحف الفاشية والاستعمارية"(١١٧).

وكان هذا الاحتجاج موجهاً بالأساس إلى وزارة التموين، التي كانت تتحكم خلال فترة الحرب في حصص الورق المدعم، حيث لم تكن هناك مجلة أو جريدة باستثناء الصحف الكبرى تستطيع موالاة الصدور دون الحصول على حصة منه، وهو ما كان محاطاً ببعض الشروط الصعبة(١١٨)، بما يعطي الجهة المانحة ـ على ما يبدو ـ إمكانية الإتاحة أو التضييق على الصحف والمجلات حسب تقييمها لتوجهاتها.

لكن كان للأمر أيضاً وجه آخر يتعلق بالفجر الجديد نفسها، وهو ما أحاط بها طوال فترة صدورها من أزمات مالية حادة؛ فمنذ وقت مبكر بدأت تظهر على صفحاتها مطالبات للقراء للاشتراك فيها بكثافة ترويجاً لرسالتها، وكانت البداية في هذا المسار كلمة جاءت في العدد السابع "ساهموا في بناء الفجر الجديد، اشتركوا وشجعوا أصدقاءكم على الاشتراك"(١١٩)، وقد استمرت هذه الكلمة على صفحات المجلة لأعداد تالية(١٢٠).

(١١٧) الفجر الجديد، مج١، ع١٩، ٣ يناير ١٩٤٦، ص٤٢٦.
(١١٨)أبوسيف يوسف، مصدر سابق، ص٨٩٣.
(١١٩) الفجر الجديد، مج١، ع٧، ١٦ أغسطس ١٩٤٥، ص١٥٧.
(١٢٠) راجع مثلاً: الفجر الجديد، مج١، ع٩، ١٦ سبتمبر ١٩٤٥، ص٢٠٥.

ومع تراجع حجم الفجر الجديد إلى ٢٠ صفحة منذ عددها التاسع عشر، ظهرت على صفحاتها مطالبة صريحة بالدعم المالي العاجل "أيها الأصدقاء، نحن في حاجة إلى تأييد مالي حتى تستطيع الفجر الجديد أن تصلكم باستمرار، أمامنا عقبات يجب أن تذلل ليس أقلها أن ما يصرف لنا من ورق تموين أقل مما نستهلك .. يا أصدقاء الفجر الجديد، كل قرش تدفعونه معول في جسم الرجعية والاستعمار، وحجر في صرح مستقبل شعبنا الحر الكريم"(١٢١).

وقد أحرزت هذه الدعوة نجاحاً لا بأس به، حيث شكرت المجلة قراءها في العدد التالي وأوضحت أن "التبرعات لتدعيم الفجر الجديد بلغت حتى الآن خمسة جنيهات تقريباً"(١٢٢)، مؤكدة من جديد ضرورة استمرار الدعم وزيادته لأن "كل قرش يُدفع هو خطوة في سبيل تحرير شعبنا"(١٢٣).

لكن رغم هذه التبرعات من القراء عاد شبح الأزمة المالية يطل برأسه، إلى حد اضطر الفجر الجديد ــ كما سبقت الإشارة ــ إلى التخلي منذ عددها الخامس والعشرين عن مقر إدارتها الثابت والاكتفاء بالمراسلة عبر صندوق بريد ١٩٢٤، فعادت إلى المطالبة بالدعم المالي بشكل أكثر إلحاحاً "أيها الزملاء، ابعثوا إلى الإدارة بتبرعاتكم، خفضوا مصروفاتكم الكمالية وابنوا بقروشكم وجنيهاتكم صحيفتكم التي تؤمنون بنضالها، ادعوا أصدقائكم إلى التبرع، سيروا معنا صفاً ــ كي ــ نتغلب على هذه الأزمة المالية الحادة"(١٢٤).

يظهر لنا مما سبق شدة الأزمة المالية وعمق تأثيرها على مسيرة الفجر الجديد، لكن يظهر هنا أيضاً شئ آخر مهم، وهو أن المجلة الشابة الساعية إلى إرساء تقليد ثقافي وسياسي ماركسي بالأساس، ربما تكون قد استغلت هذه الأزمة منذ البداية وعن وعي لإقامة علاقة خاصة مع قرائها،

(١٢١) الفجر الجديد، مج١، ع١٩، ٣٠ يناير ١٩٤٦، ص٤٢٧.
(١٢٢) الفجر الجديد، مج٢، ع٢٠، ٦ فبراير ١٩٤٦، تدعيم الفجر الجديد، ص٤٤٧.
(١٢٣) الفجر الجديد، مج٢، ع٢١، ١٣ فبراير ١٩٤٦، تدعيم الفجر الجديد، ص٤٧١.
(١٢٤) الفجر الجديد، مج٢، ع٢٦، ٢٠ مارس ١٩٤٦، إلى أصدقاء الفجر الجديد، ص٥٦٨؛ وقد نجحت هذه المطالبة الملحة في دفع قراء وأصدقاء الفجر الجديد للتبرع بكثافة هذه المرة أيضاً، حتى بلغت التبرعات داخل مصر وحدها أكثر من ثلاثين جنيهاً جاءت من قروش الكادحين والعمال الفقراء، فضلاً عن جنيهات أخرى جاءت من أصدقاء المجلة في البلاد العربية وخاصة العراق وفلسطين؛ راجع: الفجر الجديد، مج٢، ع٣٠، ١٧ إبريل ١٩٤٦، تدعيم الفجر الجديد، ص٦٤٨؛ وقد أكسب هذا التطور القائمين على الفجر الجديد الكثير من التفاؤل بمستقبلها لفترة معينة، ومكنهم من إعادة إصدارها في ٢٤ صفحة منذ العدد ٣٢ كما سبقت الإشارة؛ راجع: الفجر الجديد، مج٢، ع٣٢، أول مايو ١٩٤٦، تحية إلى أصدقاء الفجر الجديد، ص٦٨٩.

كانت الفكرة الحاكمة فيها هي أن ثمة "وحدة نضالية" بين الطرفين، قوامها التزام المجلة بالدفاع عن مصالح الطبقات الكادحة، لكن ركنها الثاني ـ الضروري كذلك ـ هو دفاع القراء أنفسهم عن المجلة باعتبار ذلك دفاعاً عن صوتهم هم وعن مصالحهم المباشرة، وهو ما يضع المجلة وقراءها في بوتقة واحدة يخوضون فيها معاً المعركة من أجل حياة جديدة[١٢٥].

وضمن هذا المسعى لأن ترسخ لدى قرائها فكرة أنهم مسئولون مسئولية مباشرة عن استمرارها والدفاع عنها، ابتكرت الفجر الجديد آليات أخرى فعالة؛ فظهر على صفحات عددها الثاني عشر نداء لافت لا يقتصر على مطالبة القراء بالتبرع والدعم المالي لكن أيضاً بالمساهمة المباشرة والجهد الشخصي في توزيع المجلة "الفجر الجديد تكافح ضد صعوبات كثيرة وتتخطى في كل عدد عقبات عدة، وأنت أيها الصديق قد اشتركت برأيك أو مالك في نشره إلى الآن، ولا بد أنك مستعد لحمل رسالته إلى أوسع ما تستطيع، فإلى أصدقائك ومن يلتقي بك انقل آراءه وادع بدعوته واحمل إليهم نسخاً منه، إن قراء الفجر الجديد ليسوا كسائر القراء، إنهم أصحاب مذهب في الحياة ... نحن في حاجة إلى أصدقاء مندوبين كل في محيطه، فاتصل بنا إن كنت طالباً في معهد أو كلية لتكون مندوبنا فيها، وأنت أيها الصديق الموظف أو العامل أو التاجر، نحن محتاجون إليك لتوصل الفجر الجديد إلى من يهمك أن يقرأوه"[١٢٦].

وقد استمرت هذه الآلية بعد ذلك أداة رئيسية في دعم صلة المجلة بقرائها[١٢٧]، وحين شكا بعض القراء من عدم تمكنهم من الحصول على أعدادها، أبلغتهم إدارتها باستعدادها "لإرسال ما يطلبونه من النسخ ليوزعوها باليد"[١٢٨]، بل إنها ـ مع استمرار الأزمة المالية واضطرارها إلى تخفيض عدد المطبوع ـ طالبت قراءها بموافاتها بأسماء الراغبين من أصدقائهم للمشاركة معهم في توزيعها، بما يضمن استمرار وانتشار "رسالتنا في التحرر القومي والفكري"[١٢٩].

---

[١٢٥] أبوسيف يوسف، مصدر سابق، ص٨٩٦.

[١٢٦] الفجر الجديد، مج١، ع١٢، أول نوفمبر ١٩٤٥، نداء من لجنة تحرير الفجر الجديد "لجنة التحرير"، ص٢٧٧.

[١٢٧] راجع: الفجر الجديد، مج١، ع١٥، ١٦ ديسمبر ١٩٤٥، أيها الصديق "لجنة التحرير"، ص٣٥٠.

[١٢٨] الفجر الجديد، مج٢، ع٢٥، ١٣ مارس ١٩٤٦، إلى أصدقاء الفجر الجديد، ص٥٥٠.

[١٢٩] الفجر الجديد، مج٢، ع٢٧، ٢٧ مارس ١٩٤٦، إلى أصدقاء الفجر الجديد، ص٥٨٧.

ومع تعرضها في أعدادها الأخيرة "لمضايقات إدارية وغير إدارية ترمي إلى محاربتها والقضاء عليها"، وتخفيض وزارة التموين مجدداً كميات الورق المقررة لها، وضعت الفجر الجديد نظاما لجمع الاشتراكات لمدة ثلاثة شهور بقيمة ٢٥ قرشاً في محاولة لإنقاذ وضعها المالي(١٣٠)، كما اتجهت للمرة الأولى إلى نشر إعلانات تجارية(١٣١)، لكنها مع ذلك استمرت في مطالبة أصدقائها بمزيد من النشاط في توزيع أعدادها "نريدك أيها الزميل الطالب أن تحمل إلى مدينتك الصغيرة مشعل الوعي الوطني الجديد ... وأنت أيها الزميل العامل ثابر على تطعيم المحيط الذي تعيش فيه بالفجر الجديد، وأنتم أيها الزملاء الموزعون القوا بمجهود جديد، أضيفوا إلى كفاحكم من أجل جريدة الطليعة الواعية نضالاً جديداً ومثابرة جديدة، إن كل قارئ جديد تضيفونه إلى جمهور قراء الفجر هو قوة حقيقية في سبيل مصر حرة ديموقراطية"(١٣٢).

لكل ما سبق، فإننا نتفق مع الرؤية القاضية بأن مطالبة الفجر الجديد قراءها بالدعم المالي وبالمساهمة في توزيع المجلة ربما كانت تنطوى ـ مع اعتبارات الأزمة المالية ـ على محاولة مقصودة لربط القراء بها لأهداف سياسية وإيديولوجية، فمسألة مثل مشاركة الأصدقاء في التوزيع كانت ضرورية ليس فقط لأنها توفر عمولة التوزيع وتتحايل إزاء مطاردة السلطة للمجلة، بل أيضاً لأنها كانت "وسيلة لتجميع الأصدقاء والأنصار وربطهم بعمل شبه منظم"(١٣٣).

يقودنا هذا الكلام إلى مناقشة إشكالية مهمة، وهي قضية الارتباط التنظيمي للمجلة؛ فهل كانت الفجر الجديد مجرد صحيفة ومنبر ثقافي للتعبير عن رؤية سياسية وفكرية معينة، أم أنها كانت واجهة وناطقاً باسم تنظيم شيوعي محدد؟.

جواباً على هذا التساؤل، يؤكد الدكتور رؤوف عباس وجود منظمة شيوعية باسم "الفجر الجديد" تكونت ـ مع تنظيمات شيوعية أخرى ـ فيما بين عامي ١٩٤٣ و١٩٤٥ في أجواء تصاعد الإعجاب بالسوفيت نتيجة انتصاراتهم العسكرية في الحرب العالمية الثانية، وأن هذه المنظمة هي التي أصدرت بعد ذلك المجلة التي عرفت بذات الإسم(١٣٤).

---

(١٣٠) الفجر الجديد، مج٢، ع٤٠، ٢٦ يونيه ١٩٤٦، تدعيم الفجر الجديد، ص٨٥٤.

(١٣١) الفجر الجديد، مج٢، ع٤٠، ٢٦ يونيه ١٩٤٦، إعلانات الفجر الجديد، ص٨٥٥.

(١٣٢) الفجر الجديد، مج٢، ع٤٠، ٢٦ يونيه ١٩٤٦، التوزيع بواسطة الزملاء "الإدارة"، ص٨٥٩.

(١٣٣) رفعت السعيد، الصحافة اليسارية، ضمن: تاريخ، مج٢، ص١٢٥.

(١٣٤) رؤوف عباس حامد محمد، الحركة العمالية في مصر ١٨٩٩ ـ ١٩٥٢، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ـ القاهرة، ١٩٦٧، ص٢٦٨.

وضمن الفرضية نفسها، التي تؤكد أسبقية التنظيم على المجلة، يرى الأستاذ طارق البشري أن من أصدر الفجر الجديد كان تنظيم "طليعة العمال" لتكون منبره الثقافي، بينما عمل هذا التنظيم بين الطلبة في تلك الفترة من خلال "لجنة الطلبة التنفيذية العليا" التي كانت تقودها عناصر طليعية من شباب الوفد(١٣٥).

وفي الاتجاه نفسه، يشير أحد أبناء هذه التجربة وهو الأستاذ حلمي ياسين إلى حماسه المبكر لرؤى وأفكار الفجر الجديد وانضمامه إلى أسرة تحريرها، ليعرف بعد ذلك أن هذه المجلة "هي المجلة العلنية لمنظمة طليعة العمال الشيوعية"، وهو ما دعاه للانضمام "فوراً" لتلك المنظمة(١٣٦).

ودعماً لهذا الطرح، يؤكد القيادي اليساري نسيم يوسف(١٣٧) أن تنظيم "طليعة العمال" كان موجوداً وقائماً بالفعل ــ وإن على نطاق ضيق ــ منذ ما قبل ١٩٤٥، وأنه هو من أصدر مجلة الفجر الجديد منذ مايو من ذلك العام لتكون منبراً علنياً له، بل أنه كان قد أصدر مجلة "الأسبوع" قبل ذلك، وهو ما يقطع بوجوده قبل فترة من صدور الفجر الجديد(١٣٨).

ويستدل الأستاذ نسيم على رأيه هذا بما أشرنا إليه سابقاً من تفرغ أبوسيف يوسف للعمل في مجلة الفجر الجديد منذ مارس ١٩٤٦، حيث يؤكد أن هذا التفرغ جاء بناء على قرار تنظيمي من "طليعة العمال"(١٣٩).

في ضوء هذه الرؤية، يبدو ما قاله أحمد صادق سعد مفاجئاً نوعاً ما، حيث يخبرنا بأن الخلية الثلاثية المصرية كانت قد قررت منذ استقلالها عن المجموعة الأجنبية "عدم إنشاء تنظيم متكامل وعدم تجنيد أعضاء جدد"، على أساس أن هذا سيلقي على أعضائها أعباء تمنعهم من التركيز على هدفهم الرئيسي وهو دراسة وفهم الواقع المصري(١٤٠).

وفي عمله المرجعي الضخم عن تاريخ تنظيم "طليعة العمال"، يقدم لنا الأستاذ أبوسيف يوسف معلومة مهمة؛ حيث يجزم بأن الصورة الأولى

---

(١٣٥) طارق البشري، مرجع سابق، ص٨٢ ــ ٨٣.

(١٣٦) نخبة من الكتاب، أبوسيف يوسف مفكراً ومناضلاً وإنساناً، دار ميريت ـ القاهرة، ٢٠٠٦، ص٢٦.

(١٣٧) ولد الأستاذ نسيم يوسف في إبريل ١٩٣٣ وانتمى في صباه إلى الطليعة الوفدية، ودخل تنظيم "طليعة العمال" الشيوعي منذ أواخر ١٩٤٩، ليصل في "الحزب الشيوعي المصري" إلى منصب قيادي عام ١٩٥٩؛ لقاء شخصي مع القيادي اليساري نسيم يوسف بمنزل سيادته، بتاريخ ١٧ سبتمبر ٢٠٢٢.

(١٣٨) المصدر نفسه.

(١٣٩) الأهالي، ٧ يوليو ٢٠١٠، مجلة الفجر الجديد ليست عملاً من أعمال أحمد رشدي صالح "نسيم يوسف".

(١٤٠) أحمد صادق سعد، مصدر سابق، ص٤٨.

لهذا التنظيم قد أقامتها "جماعة الفجر الجديد" باسم "ط ش ت ـ الطليعة الشعبية للتحرر" في سبتمبر ١٩٤٦ ـ أي بعد ضربة إسماعيل صدقي للمؤسسات والتجمعات والصحف اليسارية في يوليو من ذلك العام ـ لكنه يوضح في لمحة لافتة أن الكوادر التي أسست التنظيم "قد تم تجنيدها عبر الفترة من ١٩٤١ ـ ١٩٤٦"(١٤١).

يعني هذا بوضوح ـ بعكس الطروحات السابقة ـ أسبقية المجلة على التنظيم زمنياً، لكنه يشير كذلك إلى احتمال أن تكون مجلة الفجر الجديد قد ساهمت بجهد واع ومقصود في عملية "التجنيد" تلك، وأنها كانت ـ في المحصلة ـ أداة ثقافية علنية على الطريق إلى نشاط تنظيمي ماركسي مزمع.

وتعزيزاً لهذا الرأي، يؤكد أبوسيف أن العمل بين المثقفين قد تطور من الناحية التنظيمية "فازداد عدد الأفراد الذين اعتُبروا عملياً ـ قبل مكاشفتهم ـ في وضع المرشحين، وكان لا بد أن يزداد عبر النشاط في الجمعيات الثقافية والمجلات وبعض اللجان الوفدية في الأحياء، هذا بالإضافة إلى أن صدور مجلة الفجر الجديد فتح الطريق لعلاقات مع الوفديين طلاباً وشباباً، وهكذا كان كل من ريمون دويك ورشدي صالح يتحركان في عمل يومي تقريباً مع حلمي ياسين ومحمد إسماعيل محمد وأبوسيف يوسف وعبد العزيز فهمي ومع آخرين، وكان بعض هؤلاء يكلفون لسنوات بأعمال محددة تحت قيادة يومية منظمة"(١٤٢).

هكذا، يمكن توصيف دور مجلة الفجر الجديد تنظيمياً بالشكل التالي: فهي لم تكن بالتأكيد ناطقاً باسم تنظيم متكامل قائم، لكنها كانت مقدمة "للتحول إلى حركة"(١٤٣) و"مركزاً للجذب"(١٤٤)، لقد كانت ببساطة "نواة لتنظيم ماركسي"(١٤٥).

تثير هذه الخلاصة تساؤلاً محدداً: إذا كانت الفجر الجديد مجرد "نواة" لعمل ماركسي منظم دون أن يتيسر لها ـ طوال فترة صدورها القصيرة ـ التحول إلى تنظيم متكامل، فما هي الجهة التي كانت توجهها وترسم خطها السياسي؟.

هنا، يعود بنا أحمد صادق سعد إلى الخلية المصرية الثلاثية ـ التي صارت رباعية بانضمام أحمد رشدي صالح إليها ـ ويؤكد أنها هي من كان

(١٤١) أبوسيف يوسف، مصدر سابق، ص١٠، ١٤.
(١٤٢) نفسه، ص٥٩.
(١٤٣) نفسه، ص٨٩٨.
(١٤٤) أحمد صادق سعد، مصدر سابق، ص٥٠.
(١٤٥) رفعت السعيد، اليسار المصري والقضية الفلسطينية، ضمن: تاريخ الحركة الشيوعية المصرية، مج٣، ص٤٣٨.

يقوم بهذا الدور، موضحاً ـ كما سبق وأشرنا ـ عدم اقتصار دورها على ذلك فحسب وامتداده إلى الإشراف على "نشاطات علنية وسرية أخرى أيضاً، خاصة في بعض الأوساط العمالية"(١٤٦).

ولعل ما منع الفجر الجديد من التحول التنظيمي الكامل خلال فترة صدورها ـ بالإضافة لرغبة رجال الخلية في الاقتصار على دراسة الواقع المصري ـ الحذر الشديد للقائمين عليها والموروث من أستاذهم ديكومب، والذي دفعهم لأن يظلوا أربعة أشخاص فقط طوال فترة صدور المجلة، بحيث ظلت كل العناصر التي عاونتهم فيها مجرد "عناصر صديقة" ولم تجر مفاتحة أي منهم في أي شئ تنظيمياً إلا بعد ضربة ١١ يوليو ١٩٤٦ وتوقف المجلة كلياً مع غيرها من المنابر اليسارية(١٤٧)، وحتى بالنسبة لأبوسيف يوسف الذي تفرغ كسكرتير تحرير للفجر الجديد منذ مارس ١٩٤٦، فقد فعل ذلك دون أن يجري ضمه إلى الخلية(١٤٨).

المبحث الثاني
الفجر الجديد وقضية فلسطين

مدخل

مع اشتعال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨، تلاقت مصالح الإمبراطورية البريطانية مع الحركة الصهيونية الساعية لإقامة كيان يهودي في فلسطين، حيث مثلت هذه الفكرة حماية لمصالح بريطانيا في قناة السويس(١٤٩)، كما وجد فيها الإنجليز ضماناً مناسباً لإجهاض أية إمكانية لتوحيد المنطقة العربية ـ كما حدث في ظل تجربة محمد علي ـ بما يهدد التوازن الأوربي والمصالح السياسية والاقتصادية للغرب في المنطقة(١٥٠).

(١٤٦) أحمد صادق سعد، مصدر سابق، ص٣٨.
(١٤٧) رفعت السعيد، الصحافة اليسارية، ضمن: تاريخ، مج٢، ص١٢٢.
(١٤٨) أحمد صادق سعد، مصدر سابق، ص٥٠.
(١٤٩) راجع تحليلاً لدوافع بريطانيا لتبني طموحات الصهيونية في فلسطين لدى: ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية: جذورها في التاريخ الغربي، ترجمة: أحمد عبدالله عبد العزيز، سلسلة عالم المعرفة ـ الكويت، ١٩٨٥، ص١٦٥ ـ ١٧٤.
(١٥٠) عبد القادر ياسين، الحركة الوطنية الفلسطينية في القرن العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت، ٢٠٢٢، ص٣٧.

وقد تجسد هذا التلاقي في المصالح بين بريطانيا والصهاينة في صدور "وعد بلفور" في ٢ نوفمبر ١٩١٧، الذي أعلنت فيه بريطانيا عطفها على فكرة إقامة "وطن قومي" يهودي في فلسطين(١٥١).

وفي ظل الانتداب البريطاني الذي فُرض على فلسطين بعد نهاية الحرب، والذي تبنت وثائقه الأساسية المشروع الصهيوني بوضوح(١٥٢)، عمل الإنجليز على دعم وتقوية الوجود اليهودي فيها بكافة الوسائل على حساب أصحاب الأرض من العرب الفلسطينيين، كما انحازوا لليهود بشكل حاسم في كافة الصدامات التي اندلعت بينهم وبين العرب، والتي كان من أبرزها "هبة البراق" عام ١٩٢٩(١٥٣)، وكذلك انتفاضة عام ١٩٣٣(١٥٤).

وقد ترافق هذا الدعم القوي للصهاينة، مع استراتيجية اتبعتها سلطات الانتداب طوال فترة ما بين الحربين لتمييع القضية الفلسطينية؛ وهي إغراقها بسلسلة من تحقيقات "لجان تقصي الحقائق" الموجهة من قبلها، والتي انحازت توصياتها للعرب حيناً وللصهاينة أحياناً، بما لا يخل ـ في كل الأحوال ـ بالالتزام البريطاني بتنفيذ وعد بلفور ولا يغلق الباب أمام استمرار الهجرة اليهودية إلى فلسطين(١٥٥)، وعزز من استخدام هذه الأداة جمود القيادات التقليدية للحركة الوطنية الفلسطينية وتعاملها مع الإنجليز كوسيط نزيه بين العرب والصهاينة، وعجزها عن تصور إطار نضالي أكثر راديكالية يعي الانتداب على حقيقته كاستعمار مباشر ويتجاوز منطق التعاون مع بريطانيا(١٥٦).

ورغم هذا الانحياز السافر، اضطرت بريطانيا لتعديل موقفها قليلاً مع وصول النازيين للحكم في ألمانيا وبداية نذر الحرب في أوربا منذ منتصف الثلاثينيات، خاصة وأن هذه التطورات على الساحة الدولية ترافقت مع اندلاع الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩(١٥٧)، وعلى

---

(١٥١) راجع نص الوعد في: ملف وثائق فلسطين "مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية"، الجزء الأول من عام ٦٣٧ إلى عام ١٩٤٩، الهيئة العامة للاستعلامات، د.ت، ص٢١٧.

(١٥٢) راجع نص صك الانتداب في: نفسه، ص٢٨٩ ـ ٢٩٥.

(١٥٣) راجع حول هذه الهبة وموقف الإنجليز فيها: عادل حسن غنيم، الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ إلى ١٩٣٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤، ص١٩٤ ـ ٢٠٥.

(١٥٤) راجع حولها: عبد القادر ياسين، الحركة الوطنية الفلسطينية، ص١٤٠ ـ ١٤٥.

(١٥٥) محمد حسين هيكل، مذكرات في السياسة المصرية، دار المعارف، ١٩٩٠، الجزء الثالث، ص١٤ ـ ١٥.

(١٥٦) راجع بهذا الخصوص: عادل حسن غنيم، مرجع سابق، ص١٥٦ ـ ١٥٧.

(١٥٧) راجع حول عوامل انفجار هذه الثورة وأهم تطوراتها: عبد القادر ياسين، الحركة الوطنية الفلسطينية، ص١٥٥ ـ ١٧٩.

هذه الخلفية، ورغبة في تهدئة الوضع بفلسطين استعداداً للحرب الأوربية المقبلة، أصدر الإنجليز في مايو ١٩٣٩ "الكتاب الأبيض"، الذي كان ـ على ما فيه من غموض وتحيز للصهاينة في بعض الجوانب المهمة[١٥٨] ـ أكثر وثائق عهد الانتداب "توازناً"، حيث وضع للمرة الأولى حداً زمنياً أقصى للانتداب البريطاني على فلسطين هو عشر سنوات، مع تقييد الهجرة اليهودية إلى هناك بمقدار ٧٥ ألف مهاجر خلال السنوات الخمس الأولى، وبعد انقضاء هذه السنوات الخمس "لا يُسمح بهجرة يهودية أخرى إلا إذا كان عرب فلسطين على استعداد للقبول بها"[١٥٩].

لكن هذا النزوع البريطاني إلى التوازن والتهدئة لم يستمر طويلاً؛ فمع وصول تشرشل إلى الحكم في بريطانيا عام ١٩٤٠ بما عرف عنه من ميول صهيونية قوية بدأ التساهل في تطبيق الكتاب الأبيض[١٦٠]، وتصاعدت بضراوة عمليات مسح أراضي فلسطين ونقل ملكيتها إلى اليهود، وكأن سلطات الانتداب كانت تسابق الزمن لتتمكن من نقل أكبر مساحة ممكنة من الأراضي إليهم قبل حلول موعد رحيل بريطانيا النهائي من هناك[١٦١]، كما لجأ اليهود في أحيان كثيرة للتحايل حتى على القوانين البريطانية واستغلال ثغراتها للحصول على مزيد من أراضي العرب وخاصة في المناطق الساحلية[١٦٢].

كان يُفترض مع هذا الانحياز أن تكون العلاقة بين بريطانيا والحركة الصهيونية خلال الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ على أفضل ما يكون، إلا أن ذلك لم يحدث بل وشهدت هذه العلاقة توتراً كبيراً في تلك الفترة، فالتزام سلطات الانتداب الرسمي بالكتاب الأبيض عزز دواعي عدم الثقة بينها وبين القوى الصهيونية في فلسطين، ورغم التعاون في الحرب ضد النازية فإن الشكوك أخذت تساور الصهاينة إزاء محاولات السلطات البريطانية الحد من الهجرة اليهودية غير القانونية إلى فلسطين، ومن هنا سعى هؤلاء أحياناً للضغط على بريطانيا والتشهير بها بحجة

---

[١٥٨] راجع تحليلاً لهذه الجوانب في: فلاح خالد علي، فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٣٩ ـ ١٩٤٨، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠، ص٦١ ـ ٧٣.

[١٥٩] راجع ترجمة كاملة لهذا "الكتاب" في: محمد عزة دروزة، حول الحركة العربية الحديثة، الجزء الثالث، المكتبة العصرية ـ صيدا، ١٩٥٩، ص٣٢٩ ـ ٣٤١.

[160] Kirk, The Middle East in the war, p.12.

[١٦١] هند أمين البديري، أراضي فلسطين بين مزاعم الصهيونية وحقائق التاريخ، جامعة الدول العربية، ١٩٩٨، ص١٦٩.

[١٦٢] سحر علي حنفي علي خليل، تطور القضية الفلسطينية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٨، رسالة ماجستير، كلية الآداب ـ جامعة القاهرة، ١٩٩٢، ص٣٣ ـ ٣٥.

موقفها "اللا إنساني" في إقفال أبواب فلسطين بوجه يهود أوربا الفارين من اضطهاد النازي(١٦٣).

وفي هذا السياق، بدأت الحركة الصهيونية تحولها الاستراتيجي بالتموضع في كنف الولايات المتحدة ـ القوة العظمى الصاعدة ـ كمركز جديد لعملها، معتمدة على التعاون مع الجماعات اليهودية الأمريكية ذات النفوذ لتحل محل التأثير المتداعي لبريطانيا، فأقامت مؤتمراً في مايو ١٩٤٢ في فندق "بلتيمور" بنيويورك أتت مقرراته بمثابة انتصار للجناح المتشدد فيها بقيادة ديفيد بن جوريون والداعي للإسراع بإقامة الدولة اليهودية، على حساب اتجاه حاييم وايزمان الذي كان يميل إلى التمهل واستمرار الاعتماد على الإنجليز(١٦٤).

ومع انتقال زمام المبادرة في الحرب إلى يد الحلفاء عام ١٩٤٣، بدأ المتطرفون اليهود في فلسطين يلجأون لأعمال العنف اعتراضاً على سياسة الكتاب الأبيض، ونشطت المنظمات الإرهابية الصهيونية ـ وعلى رأسها شتيرن والأرجون ـ في التحرك بخشونة ضد مؤسسات الإدارة البريطانية هناك، فشهد عام ١٩٤٤ سلسلة من عمليات إلقاء القنابل على الأملاك الحكومية والبوليس(١٦٥)، كما شهد مقتل وزير الدولة البريطاني "اللورد موين" في القاهرة على أيدي إرهابيين يهود(١٦٦).

***

منذ منتصف الثلاثينيات، بدأ يتبلور في مصر تيار عروبي جنيني يتجاوز حدود النضال المصري التقليدية حول الجلاء والدستور ووحدة وادي النيل، وتصاعد تدريجياً اهتمام المصريين بقضايا محيطهم العربي، وفي هذا كانت فلسطين هي القضية التي استقطبت مبكراً تعاطفهم وحماسهم، فكان تصاعد ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ عاملاً أساسياً عزز الاتجاه العربي في مصر، وبدأت السياسة المصرية تتخطى ـ رسمياً وشعبياً ـ

(١٦٣) أحمد طربين، فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار: أمريكة في خدمة الدولة اليهودية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٧، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٢، ص١٢٩ ـ ١٣٠.

(164) Bar-Zohar. Michael, Ben-Gurion; The armed prophet, prentice-hall, 1968, pp.64 – 65.

(١٦٥) أحمد عبد الرحيم مصطفى، بريطانيا وفلسطين ١٩٤٥ ـ ١٩٤٩: دراسة وثائقية، دار الشروق، ١٩٨٦، ص٩.

(166) Monroe. Elizabeth, Britain,s moment in the Middle East 1914 – 1956, London, 1964, p.93.

حدود إظهار التعاطف مع شعب فسطين إلى مشاركة الفلسطينيين ودعمهم في نضالهم[١٦٧].

ولم تكن القوى الماركسية استثناء من هذا المناخ؛ فكافحت "عصبة أنصار السلام" ضد الصهيونية باعتبارها شكلاً من أشكال العنصرية ورفضت إقامة وطن قومي يهودي في فلسطين، وحين مر بالقاهرة عام ١٩٣٦ كل من موسى الخالدي عمدة القدس وأحمد الحسيني كلفت العصبة كلاً من يوسف درويش وريمون دويك بمقابلة الزعيمين الفلسطينيين، فأجريا معهما حديثاً مطولاً شرحا فيه أهداف أنصار السلام ووقوفهم بجانب شعب فلسطين[١٦٨]، كما بدأ يوسف درويش يجمع التبرعات لصالح الثورة الفلسطينية[١٦٩].

وفي هذه الفترة أيضاً حضرت إلى القاهرة لجنة موفدة من عصبة الأمم لاستطلاع رأي الشعب المصري بشأن مشاريع تقسيم فلسطين التي كان قد بدأ طرحها آنذاك، فتوجه درويش ودويك باسم أنصار السلام إلى مقر اللجنة بفندق شبرد وأعلنا التمسك بحق شعب فلسطين في وطنه كاملا ورفض أي مشروع للتقسيم[١٧٠].

وضمن جهود أنصار السلام ذاتها، دخل صادق سعد أثناء دراسته الجامعية بكلية الهندسة في صراعات ضد الطلاب اليهود المتعاونين مع الاتجاهات الصهيونية، وكان الفتى في هذه الصراعات والسجالات معنياً ـ بحكم أصله اليهودي واتجاهه التقدمي في ذات الوقت ـ بأن يشرح لجموع زملائه الفارق بين اليهودية كدين والصهيونية كاتجاه سياسي استعماري معاد "للشعوب العربية ومنها الشعب المصري"[١٧١].

الموقف من الصهيونية والالتباس الطبقي:

---

(١٦٧) طارق البشري، مرجع سابق، ص٢٤٣ ـ ٢٤٤.

(١٦٨) أبوسيف يوسف، مصدر سابق، ص٤٩؛ ويذكر يوسف درويش أن الذي كان موجوداً في هذه المقابلة إلى جانب موسى الخالدي هو الحاج أمين الحسيني نفسه، الزعيم الأبرز للحركة الوطنية الفلسطينية في هذه المرحلة، راجع: وائل عبد الفتاح، يوسف درويش: رحلة الرجل الحديدي "حوار مع يوسف درويش"، الحلقة الرابعة: اليهود الخمسة، ١٥ نوفمبر ٢٠٢١، medinaportal.com

(169) Beinin. Joel, Was the red flag flying there?: Marxist politics and the Arab – Israeli conflict in Egypt and Israel 1948 – 1965, university of California press, 1990, p.55.

(١٧٠) أبوسيف يوسف، مصدر سابق، ص٤٩.

(١٧١) أحمد صادق سعد، مصدر سابق، ص٤١.

منذ عددها الأول، اهتمت الفجر الجديد بقضية فلسطين وبالصراع ضد الخطر الصهيوني؛ وفي هذا السياق رحبت في مقال متحمس بدخول ميثاق "جامعة الدول العربية" حيز التنفيذ وتحول هذا المشروع إلى حقيقة واقعة[١٧٢]، وراودها الأمل في أن تكون الجامعة بوتقة تجمع وتكتل كافة الدول العربية "في تعاهد وثيق تصوغه وحدة شعوبها في مصالحها الأساسية ومثلها العليا"، ليربط المقال بعد ذلك بين تأسيس الجامعة وتحرير فلسطين، على اعتبار أن "فلسطين هي التي ستسجل دون ريب أول انتصار للجامعة العربية بتحريرها من الصهيونية الاستعمارية التي ترمي إلى استغلال شعبها العربي واستعباده، وحينذاك سيُخلد للعرب في تاريخ التقدم الإنساني فضل القضاء على ركن قوي من أركان الاستغلال الاستعماري في العالم"[١٧٣].

ينضح هذا المقال ــ كما هو ظاهر ــ بتفاؤل كبير بمستقبل الجامعة العربية ودورها في خدمة قضايا العرب وعلى رأسها قضية فلسطين، وهو تفاؤل ظهر سريعاً ــ حتى للفجر الجديد نفسها كما سنرى ــ كم كان بعيداً عن الواقع.

بعد ذلك، قدم صادق سعد في مقال بتوقيع "وطني" على صفحات العدد الثالث من الفجر، رؤية طبقية لكفاح الشعب الفلسطيني آنذاك، فأوضح في البداية أن ثمة موجة وطنية قوية تجتاح فلسطين "لا نظن أنها عرفت مثلها من قبل"، ومن أهم خصائص هذه الموجة أنها نجحت في إيقاظ جميع طبقات الشعب "ولا شك أن أنشط هذه الطبقات وأكثرها أهمية هي طبقة العمال العرب"، التي تعرف أكثر من سواها أن لها حقوقاً اقتصادية وسياسية لن تنالها "إلا إذا حُكمت البلاد حكماً وطنياً ديموقراطياً غير خاضع للرأسمال الأجنبي أو الصهيوني"[١٧٤].

ورغم هذا المدخل الطبقي لم ينزلق سعد إلى الفهم الاقتصادي البحت لمضمون النضال الفلسطيني، فأكد اتساقاً مع رؤية "عصبة التحرر الوطني" الفلسطينية اليسارية[١٧٥] أن أهداف الحركة الوطنية الفلسطينية لا

---

[١٧٢] راجع حول هذا الموضوع: أحمد فارس عبد المنعم، جامعة الدول العربية ١٩٤٥ ــ ١٩٥٨: دراسة تاريخية سياسية، مركز دراسات الوحدة العربية ــ بيروت، ١٩٨٦، ص١٢ ــ ١٥.

[١٧٣] الفجر الجديد، مج١، ع١، ١٦ مايو ١٩٤٥، جامعة الأمم العربية "زكي هاشم المحامي"، ص٦.

[١٧٤] الفجر الجديد، مج١، ع٣، ١٦ يونيو ١٩٤٥، كفاح فلسطين الوطني الديموقراطي "وطني"، ص٥٨.

[١٧٥] عصبة التحرر الوطني: تكونت نتيجة خروج الأعضاء العرب من الحزب الشيوعي الفلسطيني ــ الذي كان يضمهم إلى الشيوعيين اليهود ــ عام ١٩٤٣ بعد

تقتصر على المطالب المادية مثل تنظيم النقابات وفتح المدارس والمستشفيات وفرض الضرائب التصاعدية، بل تسعى بالدرجة الأولى للوصول إلى "حكم ديموقراطي تمثيلي"، خاصة وأن الهيئات التمثيلية الوحيدة الموجودة في فلسطين هي البلديات وأغلبها معطل منذ فترات طويلة، ما يجعل من الضروري العمل لإيجاد "مجلس نيابي يمثل الشعب تمثيلاً ديموقراطياً ويمكن جميع السكان من الاشتراك في إدارة شئونه"، كخطوة تقربه أكثر فأكثر من هدفه النهائي "الاستقلال والسيادة الوطنية"(١٧٦).

وعلى صعيد متصل، قدم الكاتب في مقاله تحليلاً لمآلات الحركة الصهيونية مؤكداً على الطابع الوطني غير العنصري لمواجهة العرب لها، فأوضح في البداية أن الصهيونية كحركة استعمارية ليست في الواقع سوى شكل جديد لتصدير رأس المال والاستيلاء على الأسواق واحتكار منابع المواد الأولية لحساب الشركات الاستعمارية الضخمة "أمثال شركة البوتاس وشركة الكهرباء وروتشلد وغيرها من المؤسسات الرأسمالية التي تعتصر الشعب الفلسطيني كلما استطاعت إلى ذلك سبيلاً"، وعلى هذا الأساس فإن "كفاح العرب المجيد ضد الصهيونية لا يعني كفاح اليهود إطلاقاً"، وقد استوعب بعض يهود فلسطين وخاصة اليهود الشرقيين هذه الحقيقة ــ حسب الكاتب ــ فبدأوا يفهمون ارتباط مصيرهم "بدرجة اشتراكهم في الحركة الوطنية التحررية مع العرب ضد الصهيونية"، ما دفعهم لنشر الاحتجاجات الرافضة للحركة الصهيونية والمطالبة بإيقاف الهجرة اليهودية إلى هناك، كما نشرت الصحافة الفلسطينية احتجاج العمال اليهود في إحدى الشركات على طرد عمال عرب من تلك المؤسسة "لا لسبب إلا لكونهم عرباً"، واستناداً على هذه التحركات والاحتجاجات أصدر سعد في النهاية حكمه

استفحال الخلافات بين الطرفين على خلفية قومية نتيجة لتباين الرؤى بينهما في تحليل ثورة ١٩٣٦، وقد كان ظهور العصبة تعبيراً عن تزايد ثقل العمال العرب في الحركة الوطنية الفلسطينية، كما كان محاولة لتقديم رؤية جديدة للواقع الفلسطيني بعد فشل القيادة الوطنية التقليدية في إنجاز أهداف الثورة، وبدأت العصبة عملها تحت شعارات تأييد الحرب ضد النازية من ناحية والمطالبة بالحريات الديموقراطية والحقوق القومية للشعب الفلسطيني من ناحية أخرى، وكان برنامجها يقوم على الاستقلال وإنشاء "دولة فلسطينية ديموقراطية"؛ راجع: إميل توما، جذور القضية الفلسطينية، الطبعة الثانية، دمشق، ١٩٨١، ص٤٢٩٤؛ وأيضاً: شئون فلسطينية، تشرين الثاني "نوفمبر" ١٩٨٠، عصبة التحرر الوطني والمسألة القومية العربية في فلسطين ١٩٤٣ ــ ١٩٤٨ "ماهر الشريف"، ص٦٨ ــ ٧٠.

(١٧٦) الفجر الجديد، مج١، ع٣، ١٦ يونيو ١٩٤٥، كفاح فلسطين الوطني الديموقراطي "وطني"، ص٥٨.

التاريخي المسرف في التفاؤل "الصهيونية تتصدع، ويتمسك الشعب الفلسطيني بمطالبه التحررية الديموقراطية، وهل يمكن أن يقف حائل دون تحقيق مطلب ذلك الشعب الباسل؟"[١٧٧].

في هذا المقال، يمكن القول أن الكاتب ـ رغم إفلاته من فخ الاقتصادوية في تقييم النضال الفلسطيني ضد الصهيونية ـ لم ير من الصهيونية نفسها سوى وجهها الاقتصادي كأداة إمبريالية لنهب مقدرات فلسطين لحساب الشركات الغربية الكبرى، وهذا الطرح ـ رغم صحته ـ يغفل عن الأساس الجيوبوليتيكي للصهيونية كقاعدة سياسية وعسكرية للمصالح الغربية في المنطقة، كما يغفل كذلك عن السمة المركزية للظاهرة الصهيونية ذاتها وهي طبيعتها الاستيطانية الإحلالية، ما يجعل الحكم المبكر ببداية "تصدعها" تحت وطأة بعض الاحتجاجات المحدودة تسرعاً مبالغاً فيه أملاه حماس الشباب أكثر من أي شئ آخر.

***

مع انتصار "حزب العمال" في أول انتخابات برلمانية تجري في بريطانيا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية على الجبهات الأوربية، وتشكيله الحكومة الجديدة هناك في أواخر يوليو ١٩٤٥ برئاسة كليمنت آتلي[١٧٨]، اهتمت الفجر الجديد بهذا الحدث اللافت وحاولت رصد تأثيراته الأولية على القضايا العربية وفي صلبها قضية فلسطين، فأجرت لهذا الغرض حواراً مع الكاتب اليساري وعضو مجلس العموم البريطاني عن حزب العمال "د. ن. بريت" أثناء مروره بالإسكندرية؛ وفي هذا الحوار سأل محرر الفجر بريت عن موقف حزبه من الصهيونية قائلاً "يعتبر المصريون الأحرار أن الصهيونية بأشكالها السياسية والاقتصادية ونشاطها المناهض للحرية تقوم حجر عثرة في سبيل استقلال البلاد العربية، وأن القضاء عليها ضرورة يفرضها قيام سلام عالمي وتحتمها سلامة الديموقراطية والحرية في الشرق الأوسط ... بينما يستغل الصهيونيون تردد العمال بخصوص الصهيونية

---

[١٧٧] نفس المصدر والصفحة؛ وحول مسألة "تصدير رأس المال" كأحد أسس الصهيونية، نلاحظ أن اليهود في هذه الفترة المبكرة كانوا يملكون ثلاثاً من الشركات الخمس الكبرى صاحبة الامتيازات في فلسطين "شركة كهرباء فلسطين ـ شركة البوتاس الفلسطينية ـ شركة الملح الفلسطينية"، بينما امتلكت الرساميل العربية شركتين فقط هما "شركة القدس للكهرباء والخدمات العامة ـ مناجم الملح"؛ راجع: إكرام عبد الرحيم، المحدد الفلسطيني في الاقتصاد الصهيوني قبل إنشاء الدولة، ضمن: رؤية، السنة الثالثة، العدد ٢٩ ـ ٣٠، كانون ثاني ـ شباط ٢٠٠٦، ص١١٩.

[178] New York Times, Jul 27, 1945, Winner and loser in British elections.

فيذيعون أنهم يؤيدونها بأعمق مما يؤيدها المحافظون، فهل يحس الرأي العام البريطاني خطورة هذه المسألة على نمو الديموقراطية والحركات الشعبية"[١٧٩].

في جوابه على هذا التساؤل، بدا موقف النائب العمالي البريطاني غير واضح بشكل ما؛ حيث أشار إلى عدم انتباه الرأي العام البريطاني عموماً إلى خطورة الصهيونية، مبدياً اعتقاده في ذات الوقت بأن الرأي العام "اليساري" هناك لا يثق بها، وإن كان قد "تأثر بآلام اليهود في أوربا"[١٨٠].

ما يمكن قوله بخصوص هذا الكلام، هو أن الفجر الجديد لم تكن هي الأخرى محددة وحاسمة في سؤالها لبريت، فتعاطف حزب العمال البريطاني مع الصهيونية لم يكن شائعة أذاعها الصهاينة بل موقفاً ثابتاً عبرت عنه أدبيات وسياسات الحزب المعلنة، وهو ما جعل وصوله إلى السلطة خبراً سيئاً أزعج الفلسطينيين أنفسهم[١٨١]، وربما لم تطرح الفجر هذا الأمر هنا بوضوح بسبب تعاطفها ــ في البداية على الأقل ــ مع الحكومة العمالية في بريطانيا بوصفها حكومة "اشتراكية"[١٨٢].

وقد جهر حزب العمال بمواقفه الداعمة للصهيونية مراراً؛ حيث دعا في مؤتمره السنوي لعام ١٩٤٣ لبناء فلسطين "كوطن قومي يهودي"، وطالب بمنح الوكالة اليهودية السلطة للاستفادة الكاملة من القدرات الاقتصادية للبلاد، بما في ذلك تنمية الأراضي "غير المحتلة وغير المطورة"[١٨٣].

وفي السياق ذاته، نشر الحزب في إبريل ١٩٤٤ برنامجه لما بعد الحرب، مطالباً في فقرة خاصة بفلسطين بفتح هذه البلاد أمام هجرة يهودية واسعة وتوفير دعم سخي لترحيل سكانها العرب وتوطينهم في أماكن أخرى، وهو ما سيسمح مع الوقت بخلق دولة يهودية يتمتع فيها اليهود

---

[١٧٩] الفجر الجديد، مج١، ع٩، ١٦ سبتمبر ١٩٤٥، د. ن. بريت يتحدث إلى الفجر الجديد، ص١٨٦.

[١٨٠] نفس المصدر والصفحة.

[181] Monroe, op.cit, p.151.

[١٨٢] راجع: الفجر الجديد، مج١، ع٦، أول أغسطس ١٩٤٥، حركة العالم في أسبوعين، ص١٢٤ ــ ١٢٥.

[183] Crossman. Richard, Palestine mission: A personal record, New York, 1977, p.53.

بالأغلبية[١٨٤]، وقد تكرست هذه التوجهات في المؤتمر الذي عقدته اللجنة التنفيذية العامة للحزب في ديسمبر من نفس العام[١٨٥].

مما سبق، يظهر لنا عمق تأثير الاختراق الصهيوني المبكر لأحزاب الاشتراكية الديموقراطية في أوربا الغربية، وعلاقة ذلك لا بالمحارق النازية وما خلقته لدى كثيرين من التزام فكري وعاطفي تجاه اليهود المنكوبين فحسب، بل أيضاً ـ وربما أساساً ـ بالتوازنات الانتخابية والسياسية والمالية في تلك البلاد.

في عددها التالي، استمرت الفجر الجديد في الإضاءة على تطورات القضية الفلسطينية، فأبرزت في باب "حركة العالم في أسبوعين" تصريحات بولص فرح ومخلص عمرو مندوبي فلسطين في "مؤتمر اتحاد نقابات العمال العالمي" الذي كان منعقداً آنذاك في باريس، والتي أكد فيها الرجلان على الطابع السياسي غير العنصري للصراع في فلسطين، وطالبا اليهود هناك ـ إن كانوا ديموقراطيين ـ بالتخلي عن حلم الدولة اليهودية والكفاح المشترك مع العرب من أجل استقلال الدولة القومية الديموقراطية الفلسطينية[١٨٦]، وقد علقت الفجر على هذه التصريحات بالقول "إننا لا نرى من جانب الصهيونيين على اختلاف أحزابهم أي نداء لجلاء قوات الاحتلال عن فلسطين، بل أن الاستعمار نتيجة لهذا الموقف في أمان هناك إلى درجة تسمح له بأن يشرع ـ كما جاء أخيراً ـ في تحويل فلسطين إلى معقل استعماري رئيسي في الشرق الأوسط"، وتأكيداً على المضمون السياسي غير العنصري للصراع اعتبرت الفجر مجدداً أن الحل يكمن في التعاون العمالي المتجاوز للقومية، مشيدة بقيام "العمال العرب مع إخوانهم اليهود الديموقراطيين بمظاهرة ينادون فيها بوحدة العمال العرب واليهود"[١٨٧].

يحتاج هذا التعليق ـ فيما نرى ـ إلى مناقشة؛ فمن ناحية لم تنتبه الفجر الجديد هنا للتباين النسبي في تلك الفترة بين الإنجليز والصهاينة في فلسطين، على خلفية استمرار تطبيق الكتاب الأبيض وبداية تحول الثقل الصهيوني ـ كما سبقت الإشارة ـ باتجاه الولايات المتحدة؛ وقد تجلى هذا التباين بوضوح حين حذر مؤتمر صهيوني انعقد برئاسة بن جوريون في

---

(184) Bullock. Alan, Ernest Bevin: foreign secretary 1945 – 1951, New York, 1983, p.47.

(١٨٥) محمد أمين الحسيني، حقائق عن قضية فلسطين، مكتب الهيئة العربية العليا بالقاهرة، ١٩٥٤، ص٣٠.

(١٨٦) راجع حول انعقاد هذا المؤتمر وخلفيات المشاركة الفلسطينية فيه: عبد القادر ياسين، الحركة الوطنية الفلسطينية، ص١٩١.

(١٨٧) الفجر الجديد، مج١، ع١٠، أول أكتوبر ١٩٤٥، حركة العالم في أسبوعين، ص٢٢١.

لندن مع بداية تسلم حزب العمال السلطة في بريطانيا، من أنه إذا استمرت الحكومة الجديدة في الالتزام بسياسة الكتاب الأبيض فإن يهود فلسطين "سيخوضون الحرب" ضدها(١٨٨)، وكان هذا تلميحاً واضحاً بإمكانية عودة المنظمات الصهيونية المسلحة هناك إلى استخدام العنف ضد الحكم البريطاني إذا لم يتخل نهائياً عن الكتاب الأبيض.

ومن ناحية ثانية، تبدو إشارة الفجر الجديد هنا إلى توجه بريطانيا لتحويل فلسطين إلى معقل رئيسي لها في المنطقة دقيقة إلى حد كبير، فمع ضغوط المصريين في تلك الفترة من أجل تعديل أو إلغاء معاهدة ١٩٣٦ وصولاً إلى الجلاء أدرك الإنجليز أن وجودهم العسكري في قاعدة قناة السويس قد صار مهدداً، مما جعل أنظارهم تتجه إلى فلسطين كقاعدة جديدة لنفوذهم(١٨٩)، كما بدت فلسطين ذات أهمية إضافية بسبب وجود مصافي النفط ونهايات خطوطه في أراضيها، فضلاً عن حيوية موقعها بالنسبة للمواصلات البريطانية في الشرق الأوسط عامة(١٩٠).

***

في إطار استمرار تفاعل الفجر الجديد مع قضية فلسطين، قدم صادق سعد مقالاً جديداً جديراً بالنقاش في تقييم الحركة الصهيونية، تميز ـ كسابقه ـ بنفس النزعة الحماسية مفرطة التفاؤل؛ حيث اعتبر في بدايته أن الاستعمار يتخبط "وتتخبط الصهيونية معه في أزمة عميقة"، فنرى تذبذباً كبيراً في مواقف الدول الاستعمارية الكبرى "ونرى في الجانب الآخر نهضة القوات ـ المقصود القوى ـ الشعبية تهدد كل استعمار وكل استغلال"(١٩١).

بعد ذلك، أكد سعد مجدداً على رؤيته للصهيونية كحركة استعمارية تستغل موارد فلسطين لصالح كبار الرأسماليين الاحتكاريين، الذين يستعملون "الطبقات اليهودية الشعبية ككبش فداء في صراعهم ضد الطبقات الفلسطينية"(١٩٢).

وفي إطار هذا الوعي بالارتباط بين الصهيونية والاستعمار، انتبه الكاتب إلى مسألة دقيقة وهي أن الصهيونية ليست ظاهرة يهودية فحسب،

---

(188) Bar-Zohar, op.cit, p.81.

(189) Cohen. Michael, Palestine and the great powers 1945 – 1948, Princeton university press, 1982, p.34.

(١٩٠) أحمد عبد الرحيم مصطفى، مرجع سابق، ص٧٢ ـ ٧٣.

(١٩١) الفجر الجديد، مج١، ع١١، ١٥ أكتوبر ١٩٤٥، احتضار الصهيونية "صادق سعد"، ص٢٥٣.

(١٩٢) نفس المصدر والصفحة.

فالرئيس الأمريكي ترومان ورئيس الوزارة البريطانية آتلي ولويد جورج واللورد بلفور "كلهم من المسيحيين الإنجليز والأمريكان" الذين يرون أن فلسطين تنتج البوتاس "وأن أنابيب البترول تنتهي عند شواطئها"، ولذا من الواجب "اختلاق وطنية يهودية زائفة يتشبث بها صغار البرجوازيين اليهود حتى يقتنعوا بأن مهمتهم الأساسية في فلسطين هي أن يحولوا دون وصول العرب إلى الاستقلال عن الاستعمار الإنجليزي والصهيوني"(١٩٣).

لا شك أن انتباه الكاتب المبكر هنا لعدم اقتصار الصهيونية على اليهود وحدهم كان استخلاصاً بالغ الأهمية والجدة في فهم طبيعة الصراع الضاري على أرض فلسطين آنذاك(١٩٤)، لكن رغبته ـ المحقة بالأساس ـ في تبرئة اليهود من حيث هم يهود من وزر المشروع الصهيوني جعلته يتعامل معه مجدداً كما لو كان مجرد مشروع "استثماري" غربي يستعمل الوجود اليهودي في فلسطين كوقود لمصالحه، وهو ما يجعل يهود فلسطين أنفسهم "ضحايا" على مستوى معين.

وربما كان وقوع الكاتب ـ ومعه الفجر الجديد كما سنرى فيما بعد ـ في هذا الالتباس حتمياً بشكل ما، فهو كيهودي يسعى للاندماج في بيئته المصرية والعربية كان مدركاً أن من واجبه السياسي والأخلاقي معارضة الصهيونية وقد فعل ذلك بإخلاص تام طبقاً لمنظوره الماركسي، لكن سعيه ذاته للاندماج في تلك اللحظة الحساسة والمتأججة فرض عليه أن يحاول باستمرار نفي أية شبهة عنصرية للصراع ونفي أي دور أساسي "لليهود" بوصفهم يهوداً في المشروع الصهيوني، وبقدر ما يبدو هذا طبيعياً ومقبولاً بالنظر لعموم اليهود في العالم، إلا أن إدخال المهاجرين اليهود إلى فلسطين وهم أساس ذلك المشروع ضمن نفس المعيار يبدو مبالغة في المثالية، أو لعله تعبير عن مأزق المثقف الوطني المحاصر بأقلويته الطائفية، وهو مأزق أدى هنا إلى معضلات وأوهام شتى وأخطاء كبيرة في التحليل.

وقد تجلى هذا المأزق المثالي بكامل الوضوح حين أكد الكاتب بيقين لم يكن له ما يبرره، أنه مع سقوط النظم الفاشية في أوربا "تصدعت جبهة الاضطهاد العنصري وقرب زوالها"، وبالتالي "لن يوجد بعد اليوم يهود يريدون مغادرة بلادهم ليذهبوا إلى فلسطين يتعرضون فيها للبطالة ليخدموا مصالح المستغلين، بل إن الخطر أكبر من انقطاع ـ هجرة ـ اليهود، فهناك يهود في فلسطين يرغبون رغبة شديدة في الرجوع إلى وطنهم الأصلي بل يستعدون فعلاً للرحيل منذ إعلان النصر في أوربا، وبهذا يتهدد استغلال

(١٩٣) نفس المصدر والصفحة.

(١٩٤) راجع تحليلاً لمفهوم "الصهيونية غير اليهودية" وتطبيقاً له على شخصية الرئيس الأمريكي ترومان في: ريجينا الشريف، مرجع سابق، ص٨ ـ ١٩، ص٢٠٤ ـ ٢١٦.

كبار الرأسماليين للجماهير اليهودية الكادحة ـ في فلسطين ـ ويتصدع تعاون الطبقات اليهودية في وجه الحركة الوطنية العربية"[١٩٥].

ورغم هذا التفاؤل المغرق في المثالية، إلا أن الكاتب الشاب سرعان ما عاد واستدرك موضحاً أن الاستعمار ـ رغم ذلك ـ لن يترك فلسطين بسهولة، مدللاً على ذلك بما كان يتردد آنذاك ـ كما سبقت الإشارة ـ حول احتمالات تعزيز بريطانيا وجودها العسكري في فلسطين[١٩٦]، وهو ما يحول "هذا البلد الشقيق قاعدة حربية واستراتيجية تضمن سلامة المواصلات الإمبراطورية"[١٩٧].

وفي سياق تشبث الاستعمار بفلسطين أيضاً، أشار سعد إلى مسألة هامة أثارت وقتذاك قلق كثيرين من العرب، وهي مطالبة ترومان لبريطانيا ـ التي وصلت إلى حد الضغط اللحوح ـ بإدخال مائة ألف مهاجر يهودي جديد إلى هناك على وجه السرعة[١٩٨].

ويمكن فهم ضغط الرئيس الأمريكي الجديد على بريطانيا في هذه القضية على أكثر من مستوى؛ فترومان ـ نائب روزفلت وخليفته الريفي المغمور ـ كان واعياً جداً بأهمية الصوت اليهودي ودور جماعات الضغط اليهودية ـ التي تعاظمت قوتها في الانتخابات الرئاسية الأخيرة ـ في تعزيز وضعه السياسي المهزوز[١٩٩]، كما كان الرجل منتبهاً كذلك لأهمية مشروع الدولة اليهودية بالنسبة للمصالح الأمريكية، خاصة بعد حصول الولايات المتحدة على امتيازات نفطية أساسية في المنطقة العربية[٢٠٠]، وعلى هذه الخلفية تتابعت في يوليو وأغسطس ١٩٤٥ مطالباته لتشرشل في البداية[٢٠١] ثم لحكومة العمال بعد ذلك[٢٠٢] برفع كافة القيود التي فرضها الكتاب الأبيض على الهجرة اليهودية إلى فلسطين ومنح مائة ألف شهادة جديدة

---

[١٩٥] الفجر الجديد، مج١، ع١١، ١٥ أكتوبر ١٩٤٥، احتضار الصهيونية "صادق سعد"، ص٢٥٣.

[١٩٦] راجع حول الموضوع: هيكل، مصدر سابق، ج٣، ص٢٢ ـ ٢٣.

[١٩٧] الفجر الجديد، مج١، ع١١، ١٥ أكتوبر ١٩٤٥، احتضار الصهيونية "صادق سعد"، ص٢٥٣.

[١٩٨] نفسه، ص٢٤٧.

[١٩٩] هنري لورانس، مسألة فلسطين، المجلد الثاني ١٩٢٢ ـ ١٩٤٧، الكتاب الرابع ١٩٣٢ ـ ١٩٤٧: مسألة فلسطين في الكارثة الأوربية، ترجمة: بشير السباعي، المركز القومي للترجمة ـ القاهرة، ٢٠٠٩، ص٣٧١ ـ ٣٧٢.

[٢٠٠] عبد القادر ياسين، الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص٢٠٢.

[201] Stevens. Richard P, American Zionism and U.S. foreign policy 1942 – 1947, Beirut, 1970, p.131.

[202] Public papers of the presidents of The United States: Harry S. Truman, 1945, Washington, 1961, pp.224 – 228.

للمهاجرين اليهود إلى ذلك البلد[٢٠٣]، وقد أثارت هذه الضغوط المفاجئة ـ والعلنية ـ حنق بريطانيا التي رأت فيها قلة تقدير أمريكية لما قد يخلقه هذا الإجراء من مخاطر يمكن أن تفاقم توتر الموقف في الشرق الأوسط[٢٠٤]، كما اعتبرتها دليلاً حاسماً على ميل اليهود للولايات المتحدة وخروجهم من تحت عباءة النفوذ البريطاني[٢٠٥].

وفي جانب آخر من مقاله المهم، وجه صادق سعد أول نقد لجامعة الدول العربية وأمينها العام عبد الرحمن عزام على صفحات الفجر الجديد، وذلك على خلفية تصريح الأخير في لندن ـ الذي أثار عليه غضب الرأي العام العربي ـ بأن من المستحسن إرجاء البحث في قضية فلسطين لمدة سنة على الأقل "لأنه سيتيسر حلها بعد أن تهدأ الأحوال"، وإعلانه استعداد الدول العربية للمساهمة في حل مشكلة اللاجئين اليهود في أوربا باستقبال عدد منهم[٢٠٦]، حيث اعتبر سعد هذا الكلام بمثابة وضع لمسألة فلسطين "على الرف"[٢٠٧].

وفي نهاية المقال، عاد الكاتب إلى رؤيته الساذجة القاضية بأن الصهيونية قد دخلت في طور الانهيار، مؤكداً من جديد أن ما سيحسم الصراع في فلسطين هو التعاون البروليتاري بين جموع الكادحين من العرب واليهود "الصهيونية تعاني الآن جروحاً قاتلة ـ وهي ـ تحاول أن تدافع عن البقية الباقية من حياتها باستنهاض قواها جميعاً وباستنجاد حلفائها الاستعماريين، لكن الضربات الشديدة تنالها الواحدة تلو الأخرى، فصفوف اليهود في فلسطين تتفكك بمقاومة اليهود الشرقيين ـ السفارديم ـ للصهيونية، والطبقة العمالية العربية تلقي بقواها اليقظة في الحركة الوطنية، وتزداد الإضرابات العمالية اليهودية والعربية من ٨٠ إضراباً يشمل ٣٨٠٠ عامل سنة ١٩٤١ إلى ١٤٧ إضراباً يشمل ١٧٨٤٦ عاملاً

---

(203) President Truman to the British prime minister Attlee, August 31, 1945, In; FRUS, Diplomatic papers, 1945, vol.VIII, Near East and Africa, Washington, 2018, ebook.

(204) The British prime minister Attlee to president Truman, September 14, 1945, in; FRUS, Ibid, ebook.

(٢٠٥) محمد عزة دروزة، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، الجزء الثاني، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ـ صيدا، ١٩٦٠، ص٣٥.

(٢٠٦) الرابطة العربية، ٦ أكتوبر ١٩٤٥، ص٢٤؛ وراجع أيضاً: عصام الغريب، عبد الرحمن عزام: الإسلام ـ العروبة ـ الوطنية، دار الكتب والوثائق القومية ـ القاهرة، ٢٠١١، ص٢٨١.

(٢٠٧) الفجر الجديد، مج١، ع١١، ١٥ أكتوبر ١٩٤٥، احتضار الصهيونية "صادق سعد"، ص٢٤٧.

سنة ١٩٤٣، فيظهر بهذا الشكل أن الطبقات اليهودية الكادحة قد بدأت تيأس من سياسة تعاون الطبقات"[٢٠٨].

ما يمكن قوله بخصوص هذا الطرح الرومانسي المتكرر على صفحات الفجر الجديد، هو أن اليسار المصري إجمالاً خلال تلك المرحلة كان في دعوته جماهير العرب واليهود ـ وبالذات البروليتاريا العربية واليهودية ـ للكفاح معاً ضد الصهيونية بعيداً عن حقائق الواقع من زاوية أساسية، حيث لم يدرك مدى عمق النفوذ الصهيوني على جماهير اليهود في فلسطين ما قاده لإهدار قيمة الجانب العقائدي الإيديولوجي في الصراع، إن مجرد قبول إنسان يهودي الهجرة من وطن يستقر فيه إلى أرض فلسطين كان بذاته موقفاً يحمل في طياته بذرة التأييد للأفكار الصهيونية، كما لم ينتبه اليسار المصري في دعوته تلك أيضاً إلى أن قيام أي تحالف من هذا النوع كان يتطلب أن تكون القوى الشعبية العربية في فلسطين قوية ومنظمة وفعالة بصورة كافية، ذلك أن التحالف من موقع الضعف أمر غير ممكن[٢٠٩].

في العدد نفسه من الفجر الجديد، بدأت المجلة الشابة في استخدام تكنيك جديد لخدمة القضية الفلسطينية وهو نشر رؤى وأفكار داعمة لها من الصحف اليسارية الصديقة، وفي هذا الإطار نقلت عن مجلة "الطريق" اللبنانية مقالاً تستعرض فيه المخاطر الكامنة في المشروع الصهيوني، وفي مقالها ذاك انتبهت "الطريق" لقضية جديدة وهامة كانت تدور بقوة في الفضاء السياسي العربي آنذاك وهي "مشروع سوريا الكبرى"، الذي لم تر فيه إلا مجرد "مناورة استعمارية خطرة ترمي إلى بناء دولة صهيونية تهدد جميع الأقطار العربية وجر سوريا ولبنان إلى منطقة نفوذ استعماري معين"، وعلى هذه الخلفية هاجم المقال جامعة الدول العربية لأن مسئوليها لم يتصدوا لهذا المشروع "المضلل" ولم يطالبوا بحل قضية فلسطين التي تعد "أهم قضية تواجه البلاد العربية في المرحلة الحاضرة"[٢١٠].

في اعتقادنا، كان نشر الفجر الجديد لهذا المقال الذي يحمل نقداً لاذعاً لمشروع سوريا الكبرى، امتداداً للتنافس والتوجس المصري التقليدي تجاه الهاشميين حاملي لواء هذا المشروع ـ وبالذات الأمير عبدالله بن الحسين في شرق الأردن ـ خاصة مع الارتباط الجلي لهذا المشروع

---

(٢٠٨) نفس المصدر والصفحة.

(٢٠٩) تعليق للأستاذ خالد محيي الدين ورد في: رفعت السعيد، اليسار المصري والقضية الفلسطينية، ضمن: تاريخ الحركة الشيوعية المصرية، مج٣، ص٦٧٦ ـ ٦٧٧.

(٢١٠) الفجر الجديد، مج١، ع١١، ١٥ أكتوبر ١٩٤٥، تيارات في الصحف الشقيقة: الشعوب العربية والخطر الصهيوني، ص٢٥٥.

بالمصالح البريطانية الاستعمارية في المنطقة[٢١١]، وما يمكن أن يجره هذا الارتباط من مخاطر على قضية فلسطين بالذات[٢١٢].

***

مع نهاية مؤتمر اتحاد نقابات العمال العالمي في باريس، وعطفاً على ما شهده المؤتمر من دور بارز لوفد فلسطين ـ مع غيره من الوفود العربية ـ في محاولة التوفيق بين الوفدين المصريين المتنازعين فيه[٢١٣]، حدث تطور كانت له نتائج مهمة في تعاطي الفجر الجديد مع الشأن الفلسطيني؛ حيث مر ممثلا فلسطين فيه مخلص عمرو وبولص فرح ـ وهما في ذات الوقت من قادة "عصبة التحرر الوطني" اليسارية الفلسطينية ـ بالقاهرة في طريق عودتهما، وأثناء وجودهما فيها تم ترتيب لقاء لهما مع ممثلي "اللجنة التحضيرية" ومنهم طه سعد عثمان[٢١٤]، كما التقى القياديان الفلسطينيان في اجتماع آخر بيوسف درويش وأحمد رشدي صالح وريمون دويك، وكان لهذا اللقاء أثره الكبير في تعريف رجال جماعة الفجر الجديد ببعض حقائق وأبعاد القضية الفلسطينية، واتُفق في نهايته على التعاون والتنسيق بين مجلة "الغد" الفلسطينية التي كان مخلص عمرو رئيساً لتحريرها وبين مجلة الفجر الجديد وكذلك "دار القرن العشرين" للنشر[٢١٥].

---

[٢١١] إسلام محمد عبد الخالق قاسم، الدبلوماسية المصرية وقضية فلسطين ١٩٣٧ ـ ١٩٤٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩، ص٩٦.

[٢١٢] راجع: نجلاء سعيد مكاوي، مشروع سورية الكبرى: دراسة في أحد مشروعات الوحدة العربية في النصف الأول من القرن العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت، ٢٠١٠، ص١٢٦ ـ ١٢٩.

[٢١٣] استقبلت الطبقة العاملة المصرية مؤتمر باريس النقابي بشكل يعبر عن انقسامات الحركة الشيوعية الراعية لها؛ فتنازع تمثيل مصر فيه وفدان يمثل أحدهما "مؤتمر عمال الشركات والمؤسسات الأهلية" المرتبط بتنظيمي "حمتو" و"إسكرا" اليساريين المتحالفين وكان يقوده ديفيد ناحوم ومراد القليوبي، أما الثاني فكان يمثل "اللجنة التحضيرية لمندوب نقابات عمال مصر" وهي الجناح النقابي لجماعة الفجر الجديد ويقوده النقابي المخضرم محمد يوسف المدرك، وقد سعت الوفود العمالية العربية خلال المؤتمر إلى تجاوز هذه الازدواجية وتكوين وفد مصري موحد وهو ما حدث في النهاية، وكان لوفد فلسطين دور بارز في هذا؛ راجع: طه سعد عثمان، مذكرات ووثائق، ج٤، ص١٢ ـ ٢٤؛ وأيضاً: أبوسيف يوسف، مصدر سابق، ص٧٠٣.

[٢١٤] طه سعد عثمان، نفسه، ص٢٤ ـ ٢٥.

[٢١٥] راجع: أبوسيف يوسف، مصدر سابق، ص٧٠٣ ـ ٧٠٤؛ وأيضاً: شئون فلسطينية، أيلول "سبتمبر" ١٩٧٢، صحف اليسار المصري وقضية فلسطين "عبد القادر ياسين"، ص١١٩؛ ومن الجدير بالذكر، أنه حين أصدر صادق سعد في ربيع العام

وكانت أولى ثمار هذا التعاون ـ الذي تطور فيما بعد إلى نوع من التوأمة في النظرة إلى القضية الفلسطينية ـ أن نشرت الفجر الجديد في عددها الثاني عشر مقالاً لمخلص عمرو احتفى فيه بأداء الوفود العربية في مؤتمر باريس، وقد أشاد الكاتب هنا بنجاح هذه الوفود في شرح تطورات القضية الفلسطينية والنضال ضد الصهيونية والتي كانت غامضة بالنسبة لمعظم الوفود العمالية في المؤتمر، ما أدى في النهاية إلى اتخاذ المؤتمر قراراً بإدانة الصهيونية بين صفوف العمال "وفضحها كحركة استعمارية رأسمالية"(٢١٦).

ومتابعة لنفس الموضوع، كتب إبراهيم الكاشف ـ ريمون دويك ـ تقريراً موسعاً في ذات العدد، وقد سخر الرجل في بداية تقريره من القواعد الإثني عشر التي أعلنها الرئيس الأمريكي ترومان كأسس للسياسة الخارجية الأمريكية في عهده، وخاصة من القاعدة السادسة التي نصت على رفض الولايات المتحدة الاعتراف بأي حكومة تُفرض بالقوة على أية أمة بمعرفة دولة أجنبية(٢١٧)، فأوضح أن هذه القاعدة لم تطبق بالنسبة لفلسطين التي تفعل الولايات المتحدة كل ما بوسعها لدعم الصهيونية فيها، مؤكداً أن "الشعب الفلسطيني لا يعتمد في نضاله ليتحرر من الاستعمار الصهيوني والبريطاني معاً على أقوال الرأسماليين الأمريكيين، بل على قوته وتأييد الشعوب الأخرى له"(٢١٨).

وتأسيساً على هذه المقدمة، اعتبر الكاتب أن الوفد الفلسطيني في المؤتمر الدولي لنقابات العمال قد احرز نجاحاً كبيراً؛ وذلك بتمكنه من إحباط مسعى الصهاينة لاتخاذ المؤتمر "منبراً لدعايتهم الكاذبة"، كما احتفى الرجل كذلك بنجاح الوفود العربية للمؤتمر في انتخاب النقابي اللبناني مصطفى العريس عضواً في المجلس التنفيذي لاتحاد العمال الدولي "الذي يمثل ٦٦ مليون عامل" حول العالم، على اعتبار أن هذا "هو الرأي العام

التالي ١٩٤٦ كتابه "فلسطين بين مخالب الاستعمار" الذي كان أحد أبكر الكتب في مصر عن القضية الفلسطينية، اعتمد فيه بالأساس على مواد وفرها له مخلص عمرو وبولص فرح بالذات؛ Beinin, op.cit, p.56

(٢١٦) راجع: الفجر الجديد، مج١، ع١٢، أول نوفمبر ١٩٤٥، المندوبون العرب في مؤتمر نقابات العمال العالمي "مخلص عمرو"، ص٢٥٨، ٢٧١؛ وراجع حول أهم قرارات المؤتمر الخاصة بقضية فلسطين: طه سعد عثمان، مذكرات ووثائق، ج٤، ص٢٥ ـ ٢٦.

(٢١٧) Public papers – Truman 1945, op.cit, pp.431 – 438.

(٢١٨) الفجر الجديد، مج١، ع١٢، أول نوفمبر ١٩٤٥، حركة العالم في أسبوعين: انتصار لعرب فلسطين ضد الصهيونية "إبراهيم الكاشف"، ص٢٦٨.

العالمي الذي يؤثر اليوم أكثر من أي يوم مضى على السياسة الدولية والذي تكون مصلحته في أن يحارب الاستعمار وأسبابه في جميع بقاع العالم"[٢١٩].
وفي اتجاه آخر، وفي إطار جهدها لنشر الوعي بالقضية الفلسطينية، حاولت الفجر الجديد أن تكون صوتاً للفلسطينيين أنفسهم، فنشرت رسالة لطالب فلسطيني مع اقتراب ذكرى مرور ٢٨ عاماً على صدور وعد بلفور، أوضح فيها أن سنوات الانتداب البريطاني على فلسطين قد حفلت "بشتى أنواع المساعدات للصهيونية"، لكن "الشعب العربي يعلم أن قضية حريته تفرض عليه مقاومة الصهيونية والاستعمار معاً، فالصهيونية رأسمالية استعمارية وليست حركة عنصرية ـ المقصود قومية ـ أو دينية"[٢٢٠].

وفي محاولة مبكرة لتنبيه مصر إلى عروبتها وارتباط مصيرها بمآلات قضية فلسطين، أورد الكاتب نص وعد بلفور ثم خاطب المصريين قائلاً "ما تزال ذكرى هذا الوعد الظالم ماثلة أمام أعيننا لا تفارقنا لحظة واحدة، وإننا الآن ـ والاستعمار يستفزنا في بلادنا ليضربنا بقوته الغاشمة والصهيونية تؤيده وتحيك معه الدسائس لشعبنا ـ نناديكم أيها المصريون الوطنيون أن قفوا معنا صفاً واحداً وناضلوا الاستعمار والصهيونية، أنتم يا من بذلتم وما تزالون الدم والجهد في مكافحة الاستعمار، يا أحرار مصر، قفوا معنا في نضالنا المجيد لأخطر عدوين للبشرية: الاستعمار والصهيونية"[٢٢١].

وفي السياق النضالي ذاته، أدانت الفجر الجديد في تعليق لها على أحد الرسائل الواردة إلى بريدها "الطرق الملتوية" التي يتبعها الاستعمار البريطاني لإدخال الصهاينة إلى فلسطين؛ وقد أشارت الفجر هنا إلى القوانين والإجراءات التي استنها الإنجليز لتسهيل الهجرة اليهودية إلى هناك[٢٢٢]، مبدية استنكارها العميق لهذه "المؤامرات المجرمة التي توجه ضد شعب فلسطين"، وداعية "الأحرار والوطنيين لمعاداة الصهيونية

---

[٢١٩] نفس المصدر والصفحة؛ وراجع حول تفاصيل انتصار مصطفى العريس على ممثل الهستدروت الصهيوني في المؤتمر وفوزه بمقعد ممثل الشرقين الأدنى والأوسط في المجلس التنفيذي لاتحاد العمال الدولي: طه سعد عثمان، مذكرات ووثائق، ج٤، ص٢٦.

[٢٢٠] الفجر الجديد، مج١، ع١٢، أول نوفمبر ١٩٤٥، ليسقط الاستعمار والصهيونية "طالب فلسطيني"، ص٢٧٧.

[٢٢١] نفس المصدر والصفحة.

[٢٢٢] حول أهم ما استنته سلطات الانتداب البريطاني من قوانين وإجراءات لتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين راجع: هند أمين البديري، مرجع سابق، ص١٠٩ ـ ١١٣؛ وأيضاً: فلاح خالد علي، مرجع سابق، ص١٢٦ ـ ١٢٨.

المعتدية والاستعمار الظالم، وتأييد العرب في كفاحهم التحريري المجيد"[٢٢٣].

***

مع حلول الذكرى الثامنة والعشرين "لوعد بلفور" في ٢ نوفمبر ١٩٤٥، شهدت القاهرة والأسكندرية ومدن أخرى تظاهرات وإضرابات صاخبة شاركت فيها قوى سياسية عديدة ـ وإن تسيدتها جماعة الإخوان المسلمين ومصر الفتاة ـ احتجاجاً عليه ورفضاً لممارسات الانتداب البريطاني في فلسطين، وقد استهدف بعض المتظاهرين في هذا اليوم أملاك اليهود؛ حيث قاموا بتخريب كثير من محلاتهم التجارية ووصل بهم الحال إلى حد إشعال النيران في كنيس يهودي[٢٢٤]، ورغم محاولة رجال الشرطة احتواء الموقف إلا أنهم لم يوفقوا في منع ما لحق بأملاك اليهود من عنف وتدمير[٢٢٥].

ونتيجة لهذه الممارسات "العنصرية" التي شابت الاحتجاجات اتخذت الفجر الجديد موقفاً سلبياً إزاءها، فرغم تأكيد "جهاد" ـ أحمد رشدي صالح ـ في افتتاحية عددها الثالث عشر وهو أول عدد يصدر منها بعد هذه الحوادث، أن "مكافحة الصهيونية عمل وطني مجيد يجب أن نقوم به في حزم وقوة"، إلا أنه اعتبر ما حدث ـ فيما يعكس تناقضاً على مستوى معين ـ محاولة من الاستعمار البريطاني لإلهاء الشعب المصري في مناهضة الصهيونية كي يتمكن من "صرفنا عن مكافحته" هو، في وقت "ضعف فيه أشد الضعف بفضل التيارات المعارضة له في أوربا والحركات الوطنية في غيرها"، كما ألمح الرجل بقوة إلى تواطؤ حكومة النقراشي في هذه المحاولة الاستعمارية المفترضة لحرف النضال المصري عن مساره، لأن "الحركة الوطنية تهدف إلى تدعيم الديموقراطية وإجراء انتخابات جديدة"، وهو ما يفزع الحكومة ويدفعها لكبت هذه الحركة "بالقوة أو بغير القوة من وسائل أخرى"[٢٢٦].

وتعميقاً لطرحه هذا، أشار الكاتب بغضب إلى "العناصر الفاشية" التي "تتحرك بنشاط في الفترة الأخيرة" ـ المقصود الإخوان ومصر الفتاة ـ لاستغلال قلق الجماهير والانفراد بقيادتها، مؤكداً أن تلك القوى في

---

[٢٢٣] الفجر الجديد، مج١، ع١٢، أول نوفمبر ١٩٤٥، الهجرة إلى فلسطين "بريد الفجر الجديد"، ص٢٨٠.

[٢٢٤] راجع حول التفاصيل: الأهرام، ٤ نوفمبر ١٩٤٥، الإضراب العام لمناصرة فلسطين العربية في القاهرة والأسكندرية ومدن الأقاليم.

[225] Kramer, op.cit, pp.162 – 163.

[٢٢٦] الفجر الجديد، مج١، ع١٣، د.ت، حوادث ٢ نوفمبر "جهاد"، ص٢٨٩.

مسعاها هذا تنسجم بوعي أو بغير وعي مع رغبة الإنجليز والحكومة القائمة في حرف النضال المصري عن بوصلته المعادية للاستعمار والاستبداد الداخلي وتحويله إلى "حركة عنصرية"، كما تجلى في أحداث ٢ نوفمبر التي كانت قيادتها "في يد هذه الفئات الرجعية"[٢٢٧].

وكما استفاد الاستعمار والحكومة المصرية القائمة من تظاهرات ٢ نوفمبر وتوجهها الرجعي العنصري ـ حسب الكاتب ـ فقد استفادت منها الصهيونية أيضاً "إذ حصلت على دليل قوي ضد الشعوب العربية بأنها لا تحترم الأقلية اليهودية، وأنه لا منجى لليهود إلا إذا تجمعوا في بلد واحد"[٢٢٨].

بشكل ما، يبدو هذا الخطاب مرتبكاً ومشوباً بانغماس زائد في الوضع المصري الداخلي، في ضوء ما هو معروف من تعاطف الفجر الجديد مع حزب الوفد ـ وخاصة مع جناحه اليساري "الطليعة الوفدية" ـ في مواجهة خصومه في حكومات الأقلية[٢٢٩]، وتبنيها طرحه الرئيسي في ضرورة الحفاظ على التجربة الديموقراطية البرلمانية "البورجوازية" بوصفها أثمن مكاسب ثورة ١٩١٩، وهو ما يستوجب إجراء انتخابات جديدة أكثر تمثيلاً للإرادة الشعبية[٢٣٠].

تأسيساً على ما سبق، يمكن القول أنه رغم صوابية الفكرة الأساسية لهذا المقال وهي إدانة أي سلوك يمكن أن ينحرف بالنضال ضد الصهيونية إلى منحى عنصري، فقد شابته نزعة قطرية ظاهرة رأت في تحرك قطاعات من الشعب المصري ضد الصهيونية ـ حتى لو شاب أسلوبها بعض الملاحظات المحقة ـ مؤامرة دبرها الاستعمار والرجعية لصرف انتباه المصريين عن قضيتهم الوطنية، وهذا قصور فادح في المنظور القومي للفجر الجديد يؤشر على مشكلة معينة لديها في إدراك الترابط العميق بين ما هو وطني وما هو قومي في نضال الحركة الوطنية المصرية. وبالإضافة إلى مقال رئيس تحريرها، استمرت الفجر الجديد في إدانة احتجاجات ٢ نوفمبر بأشكال أخرى، فنشرت في ذات العدد بعض تعليقات قرائها عليها، وفي هذا السياق اعتبر أحد القراء أن هذه الأحداث أكدت "أن الكثيرين منا لا يزالون يخلطون بين الصهيونية الاستعمارية واليهودية" كما ظهر فيها "انخفاض مستوى وعي الشعب"، بينما قال قارئ آخر بغضب

---

[٢٢٧] نفس المصدر والصفحة.

[٢٢٨] نفس المصدر والصفحة.

[229] Botman, op.cit, pp.54 – 55.

[٢٣٠] راجع مثلاً: الفجر الجديد، مج١، ع١٦، ١١ يناير ١٩٤٦، إنها معركة الوطنية والديموقراطية "سعيد خيال"، ص٣٥٩.

ظاهر "أكتب هذه الكلمة والقلم لا يطاوعني من هول الجرم الذي ارتكبته الفاشية"، معلناً في النهاية تبرؤ الشعب المصري مما حدث من اعتداءات[٢٣١].

وحتى حين حاول أحد القراء في العدد التالي أن يقدم صورة مختلفة للاحتجاجات، نافياً ضلوع الاستعمار والفاشية في التخطيط لها ومؤكداً "أن الحركة كانت قومية عربية بحتة قامت بها عناصر قومية عربية بحتة"، كما أنها "كانت على أروع ما يمكن من النظام"، ردت عليه الفجر الجديد بتعليق مطول اعتبرت فيه أن ثمة فارقاً "بين تأييد الشعب المصري لحركة الفلسطينيين التحريرية وبين الاعتدائية التي حدثت يوم ٢ نوفمبر والتي أجمع المخلصون على انها تشوه جلال تعضيدنا لقضية فلسطين"، كما رفضت الفجر هنا القول بأن الاحتجاجات كانت جيدة التنظيم، مؤكدة أن ما حدث من اعتداءات "لم يكن في مقصود الجماهير الشعبية التي اشتركت في الإضراب"[٢٣٢].

وإذا أردنا فهم الدلالة الموضوعية لمظاهرات ٢ نوفمبر ١٩٤٥ وما شابها من عنف وتخريب، لا يمكن لنا أن ننفي وجود أفكار عنصرية معينة وجهت بعض من شاركوا فيها وممارسات غاضبة تمخضت عنها، إلا أن من المستحيل كذلك إنكار ما جسدته هذه المظاهرات من حضور واسع لقضية فلسطين في الشارع المصري، بل إن عنف وشمول هذه المظاهرات كان بذاته تعبيراً عن هواجس المصريين إزاء مصير فلسطين، كما كان مظهراً لالتحام قضية هذا البلد بالقضايا السياسية التي تشغل المصريين عامة[٢٣٣].

وعلى مستوى آخر، كانت هذه التظاهرات تعبيراً عن قلق الشارع المصري من تصاعد النشاط الصهيوني العلني والسري في مصر نفسها، حيث تزايد الحماس في أوساط الطائفة اليهودية منذ بداية الحرب العالمية الثانية لفكرة تأسيس الوطن القومي اليهودي في فلسطين، وتحولت مصر إلى مركز بالغ الأهمية لتهريب المهاجرين اليهود إلى هناك[٢٣٤].

---

(٢٣١) الفجر الجديد، مج١، ع١٣، د.ت، قراء الفجر الجديد يعلقون على حوادث ٢ نوفمبر، ص٢٩٩.

(٢٣٢) الفجر الجديد، مج١، ع١٤، ٦ ديسمبر ١٩٤٥، بريد الفجر الجديد "عادل أحمد ثابت"، ص٣٢٨.

(٢٣٣) عواطف عبد الرحمن، مصر وفلسطين، سلسلة عالم المعرفة ـ الكويت، ١٩٨٥، ص٢٥٢.

(٢٣٤) سهام نصار، اليهود المصريون: صحفهم ومجلاتهم ١٨٧٧ ـ ١٩٥٠، العربي للنشر والتوزيع، د.ت، ص٢٨.

ووعياً بهذا كله، كان لهذه المظاهرات صدى طيب عند عرب فلسطين أنفسهم، حيث أثبتت بطلان فكرة روج لها قادة الصهاينة طويلاً مفادها أن الشعوب العربية لا تكترث لما يحدث في فلسطين وأن شعور الإقليمية هو المسيطر فيها وبالذات في مصر[٢٣٥].

في ضوء هذه الخلاصة يحق لنا أن نتساءل عن الأسباب التي دفعت الفجر الجديد رغم صرامة ومبدئية موقفها المعادي للصهيونية لاتخاذ هذا الموقف المتشدد في إدانة تحركات ٢ نوفمبر؛ وجواباً على هذا التساؤل يمكن لنا عزو ذلك التشدد المتوتر إلى تحسس مؤسسيها وأغلبهم يهود من احتمالات تأثير هذه الأحداث على مصير اليهود عامة في مصر آنذاك ـ ولعل هذا العنصر بالذات هو ما دفع تنظيمات شيوعية أخرى أبرزها "حمتو" لاتخاذ نفس الموقف من هذه المظاهرات بل وتقديم نفس التحليل تقريباً لدوافعها وخلفياتها[٢٣٦] ـ فضلاً عن دواعي المنافسة السياسية بين الفجر كمنبر ماركسي وبين قوى اليمين المحافظ شبه الفاشي التي قامت بدور بارز في قيادة هذه التحركات مثل الإخوان المسلمين ومصر الفتاة[٢٣٧].

***

في بريد عددها الثالث عشر، نشرت الفجر الجديد تعليقاً لأحد قرائها على مقال صادق سعد "احتضار الصهيونية"، وقد أتى هذا التعليق متعاطفاً بقوة مع الصهيونية حيث أكد أنها "ينبوع خير للعرب"، معتبراً إياها "حركة اليهود القومية"، وعلى هذا الأساس فحتى إن خضعت هذه الحركة أحياناً لاستغلال الرأسماليين "فهذا شئ لا يسمح لنا أن نحكم على الحركة القومية بالإعدام"، وفي اتجاه آخر أشار الكاتب لمسألة ازدياد الإضرابات العمالية بفلسطين ـ التي علق عليها صادق سعد في مقاله أملاً كبيراً في انهيار الصهيونية ـ موضحاً أن أغلب هذه الإضرابات تُنظم بمعرفة وقيادة "الهستادروت" وهو "الرابطة الفلسطينية للعمل"، التي انخرط فيها "العرب الذين يتعاونون مع العمال اليهود الصهيونيين"، وقد نفى الرجل هنا ما ألمح إليه سعد من أن الهستدروت يقبل مبدأ التعاون الطبقي، لينتهي من هذا كله إلى وجوب حث الشعوب العربية "على مؤازرة الشعب اليهودي في تشييد

---

[٢٣٥] عايدة سليمة، مصر والقضية الفلسطينية، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ـ القاهرة، ١٩٨٦، ص٩٩.

[٢٣٦] هنري كورييل، أوراق هنري كورييل والحركة الشيوعية المصرية، جمع ودراسة: رؤوف عباس، ترجمة: عزة رياض، مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٣، ص١٥٢.

[٢٣٧] راجع: رول ماير، مرجع سابق، ص١٦٧.

حياته القومية في فلسطين من جديد، ليكون أمة محبة للسلام تتعاون مع سائر البلاد في إقامة السلم والخير في العالم كله"[٢٣٨].

بمعنى أساسي، يمكن لنا وضع هذا التعليق في سياق الجهود المكثفة التي كانت تبذلها الدعاية الصهيونية في مصر في تلك الفترة، لتأكيد "عدالة" القضية الصهيونية وصرف انتباه الرأي العام المصري عما يمثله المشروع الصهيوني من خطر داهم وإيهام المصريين بما يمكن أن يحققه من إنجازات في فلسطين وما يمكن أن يقدمه من مكاسب وفوائد لمصر وللمنطقة العربية عامة[٢٣٩].

ولا أدل على نية الإيهام والخداع لدى كاتب التعليق ـ الصهيوني كما هو واضح ـ مما مارسه من تلاعب في تعريف "الهستدروت" الذي كان ـ في الواقع ـ منظمة يهودية خالصة[٢٤٠]، ورفض الحزب الأكبر فيه وهو حزب "ماباي" بزعامة بن جوريون دخول العرب إليه، وقد استمر هذا الرفض العنيد إلى ما بعد إنشاء إسرائيل بفترة طويلة[٢٤١].

ووعياً منها بهذا الخداع، رفضت الفجر الجديد ـ بالاستناد إلى ستالين ـ رأي الكاتب القاضي بأن الصهيونية هي حركة قومية لليهود، وذلك "لافتقار اليهود إلى وحدة المنطقة واللغة والروابط الاقتصادية"[٢٤٢].

---

[٢٣٨] الفجر الجديد، مج١، ع١٣، د.ت، ليست الصهيونية حركة تقدمية "أ.م ـ الفجر الجديد"، ص٣٠٤.

[٢٣٩] راجع بخصوص الدعاية الصهيونية في مصر آنذاك: سهام نصار، مرجع سابق، ص١٢٦ ـ ١٢٨.

[٢٤٠] الهستدروت: هو "الاتحاد العام للعمال اليهود في إسرائيل"، وقد تأسس في أول ديسمبر ١٩٢٠ من العمال اليهود العاملين في المزارع الجماعية والتعاونية، وكان دوره الأساسي رعاية مختلف الشئون النقابية والاقتصادية والتعليمية والثقافية للعمال اليهود من أجل "بناء مجتمع عمالي يهودي"، ونص قانونه بوضوح على ان هدفه الرئيسي هو تحقيق الفكرة الصهيونية، فأسهم بدور بارز في رعاية الاستيطان اليهودي في فلسطين وكان أحد أهم أدوات تنشيط الهجرة اليهودية إلى هناك، ومن الجدير بالذكر أن ٦٠٪ من الشبان الذين انضموا للمنظمات الصهيونية الإرهابية مثل "أرجون" و"شتيرن" ـ التي شكلت عماد جيش الدفاع الإسرائيلي فيما بعد ـ كانوا ينتمون إلى الهستدروت، وقد تولى الهستدروت نفسه لفترة طويلة إعالة عائلات هؤلاء الشبان؛ راجع: ليلى القاضي، الهستدروت، منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث: بيروت، ١٩٦٧، ص١٣ ـ ٢٧.

[٢٤١] Beinin, op.cit, p.3.

[٢٤٢] الفجر الجديد، مج١، ع١٣، د.ت، ليست الصهيونية حركة تقدمية "أ.م ـ الفجر الجديد"، ص٣٠٤؛ وراجع: ستالين، الماركسية والقضية القومية، ترجمة: رابطة الكتاب التقدميين، دار النهضة الحديثة ـ بيروت، د.ت، ص١٠ ـ ١٢.

واستمراراً في الرد على هذا التعليق، رفضت الفجر الجديد أيضاً محاولة الكاتب تبرئة الصهيونية من تهمة التبعية لأغراض الرأسمالية والاستعمار، مذكرة قراءها بأن تصريح بلفور قد وجه بالأصل إلى الرأسمالي الكبير اللورد روتشيلد وبأن "الحراب الإنجليزية" هي التي حملت الصهاينة إلى فلسطين، كما سخرت الفجر من الادعاء بأن الصهيونية يمكن أن تنهض بالعرب، معتبرة أنه يشبه زعم الاستعمار بأنه نهض بمصر لمجرد أنه "أتى إلينا ببنوكه وسياراته وعلم مقاولينا بناء العمارات الضخمة والطرق المعبدة"، وهو ادعاء ينفيه "فقر الفلاحين العرب بفلسطين وضغط الديون عليهم وتفشي الأمراض بينهم وبين العمال العرب وقلة التعليم الحر"، وفي النهاية أكدت الفجر مجدداً قبول "الهستادروت" بمبدأ التعاون مع الرأسماليين، مدللة على ذلك بشرائه منشآت رأسمالية كبرى في فلسطين تعود لشركات "احتكارية" إنجليزية(٢٤٣).

ويبدو تأكيد الفجر الجديد هنا على قبول الهستدروت مبدأ "التعاون الطبقي" مع الرأسماليين محاولة لنفي الفكرة الشائعة لدى البعض بأنه ــ وبأن الصهيونية نفسها بالتالي ــ يمثل قوة "اشتراكية"، وقد كان ذلك التأكيد دقيقاً تماماً وكاشفاً لطبيعة الأهداف الصهيونية لهذا الكيان؛ ومن دلائل ذلك نجاح قادته في تعطيل قانون إنجليزي بفرض ضرائب الدخل في فلسطين، حتى لا يؤدي هذا الأمر إلى إعاقة هجرة الرأسماليين اليهود إليها(٢٤٤).

وفي سياق مختلف، ومع تواتر حديث الزعامات الصهيونية في هذه الفترة عن ضرورة حل مشكلة اليهود المشردين في أوربا بفتح أبواب فلسطين أمامهم(٢٤٥)، وفي ظل ما رافق ذلك من تزايد عمليات الهجرة اليهودية غير الشرعية إلى هناك بتمويل من المنظمات الصهيونية الأمريكية(٢٤٦)، حاولت الفجر الجديد ــ في إطار تعاونها مع "عصبة التحرر الوطني" الفلسطينية ــ تأكيد موقفها المبدئي المعادي للهجرة اليهودية، فنقلت مقالاً عن جريدة "الاتحاد" بخصوص هذا الموضوع(٢٤٧)، وقد أكدت الفجر في تقديمها للمقال أنها تنشره دحضاً لما هو شائع بين بعض "الأحرار" من

(٢٤٣) الفجر الجديد، نفس المصدر والصفحة.

(٢٤٤) ليلى القاضي، مرجع سابق، ص٢٧.

(٢٤٥) Bar-Zohar, op.cit, p.82.

(٢٤٦) أحمد طربين، مرجع سابق، ص٢٦١.

(٢٤٧) أصدر بولص فرح وإميل توما هذه الجريدة عن العصبة في عام ١٩٤٤ كلسان حال للعمال العرب في فلسطين؛ راجع: لقاء مع القيادي المؤسس بعصبة التحرر الوطني بولص فرح، ضمن: موسى البديري، شيوعيون في فلسطين: شظايا تاريخ منسي، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديموقراطية "مواطن"، ٢٠١٣، ص١٣٤.

مثقفي اليسار المصريين والعرب[٢٤٨]، من أن "الموقف من الهجرة يجب أن يكون مختلفاً عن موقفهم من الصهيونية ذاتها"[٢٤٩].

وقد ارتكز هذا المقال ـ انطلاقاً من التوجه الماركسي للعصبة ـ على إمكانية إعادة اليهود المشردين إلى بلدانهم الأصلية في شرق ووسط أوربا بعد وصول الشيوعيين للحكم فيها؛ فأكد كاتبه أن نشوء "الديموقراطيات الشعبية" في شرق أوربا مع ما يؤدي إليه ذلك من "ازدياد الحريات العامة والطمأنينة"، يفتح الطريق أمام اليهود "لتأمين مستقبل عادل لهم" هناك، وعلى هذا فالواجب ـ في مواجهة الدعاية الصهيونية التي توجه اللاجئين اليهود في المعسكرات نحو فلسطين ـ هو دفع اليهود لتأييد "الديموقراطية الحقيقية التي بدأت تنشأ في أوربا الوسطى والشرقية" ومن ثم يعودون إليها "فلا تعود هناك مشكلة"، مع إمكانية نقل من لا يريدون العودة إلى أوطانهم الأصلية إلى أقطار أخرى تكون "مستعدة لقبولهم"[٢٥٠].

يبدو واضحاً مما سبق ـ في اعتقادنا ـ أن إعادة نشر هذا المقال لا تحقق بدقة هدف الفجر الجديد وهو تبصير الشيوعيين والوطنيين المصريين والعرب بضرورة عدم الفصل بين الموقف من الصهيونية وقضية الهجرة اليهودية إلى فلسطين، حيث لا تبدو ظاهرة فيه دواعي الارتباط بين المسألتين، وفضلاً عن ذلك فقد سيطرت على المقال فكرة إيديولوجية رومانسية تغفل عن واقع اللحظة القائمة في السياسة الدولية، واستناداً إلى هذه الغفلة اعتبر الكاتب أن "قضية اللاجئين اليهود تنفصل تمام الانفصال عن قضية فلسطين ومستقبلها"، وإصرار الصهاينة على أن لا حل للجوء اليهودي إلا باستيطان فلسطين لن تكون له من نتيجة آخر الأمر "إلا أن لا تحل أية قضية من هاتين القضيتين"[٢٥١].

وقد وصلت هذه الغفلة عن حقائق اللحظة الدولية وطموحات المشروع الصهيوني ورعاته إلى ذروتها في نهاية المقال؛ حيث وضع الكاتب قضية فلسطين برمتها في يد بريطانيا من جديد؛ فرغم أنه طالب بنقل مسئولية رعاية اللاجئين اليهود في المعسكرات من يد السلطات

---

[٢٤٨] أشارت الفجر الجديد في كثير من الأحيان إلى المثقفين الماركسيين باسم "المثقفين الأحرار"؛ راجع: أبوسيف يوسف، مصدر سابق، ص٨٦.

[٢٤٩] الفجر الجديد، مج١، ع١٤، ٦ ديسمبر ١٩٤٥، يقاومون الهجرة إلى فلسطين "نقلاً عن الاتحاد الفلسطينية"، ص٣١١؛ وقد كانت "حمتو ـ الحركة المصرية للتحرر الوطني" بزعامة هنري كورييل، تعلن دائماً العداء للصهيونية، لكنها مع ذلك كانت ترى في رفض الهجرة اليهودية إلى فلسطين نوعاً من "العداء للسامية"؛ راجع: هنري كورييل، مصدر سابق، دراسة د. رؤوف عباس، ص٤٤.

[٢٥٠] الفجر الجديد، نفس المصدر والصفحة.

[٢٥١] نفس المصدر والصفحة.

البريطانية والأمريكية إلى سلطات مدنية خاصة، إلا أنه لم يلبث أن طالب بريطانيا كدولة انتداب بالقيام "بالإجراءات الديموقراطية اللازمة لخلق تفاهم بين العرب واليهود، وذلك بالتشاور مع سكان فلسطين تشاوراً ديموقراطياً"، وبالتعاون مع الأمم المتحدة "يكون من واجب بريطانيا أن تضع الخطة لمستقبل فلسطين، خطة تقود إلى حريتها ورخائها"[٢٥٢].

وعلى صعيد آخر، ناقشت الفجر الجديد مبكراً مسألة حيوية وهي الدور الرسمي المصري في القضية الفلسطينية؛ فأبدى أحمد رشدي صالح في افتتاحية عدد المجلة السابع عشر قلقه من بعض الأخبار التي تواترت آنذاك عن اتجاه الجامعة العربية إلى التراجع عن قرارها بمقاطعة البضائع الصهيونية انصياعاً لضغوط بريطانية، رابطاً إياها بما تم في اللحظة نفسها من انتخاب مصر عضواً غير دائم في مجلس الأمن الدولي بدعم من دول الجامعة العربية[٢٥٣]، ليخلص من ذلك إلى تأكيد ما للساسة المصريين من "تأثير سيئ" في سير الجامعة العربية وفي دفع دولها إلى "التفاهم مع الاستعمار"، وهو ما يجعل "انتخاب مصر في هذه الظروف الدقيقة الحرجة" أمراً "يجب أن يثير في نفوسنا أشياء كثيرة"[٢٥٤].

بمعنى معين، انطوى تلميح رشدي هنا لدور مصري سلبي في إجهاض المقاطعة العربية لإسرائيل ـ فيما نرى ـ على قدر من التشدد والتجنى ربما كان مبعثه الحماس الإيديولوجي الزائد، فموقف مصر من قضية المقاطعة في تلك الفترة كان ـ بعكس ما يرى الكاتب ـ إيجابياً إلى حد كبير؛ حيث كانت هي من بادرت بمد الجامعة العربية بالبيانات اللازمة حول الصناعات الصهيونية وحول الصناعات الفلسطينية المحلية الواجب دعمها وتقويتها، كما اتخذت الحكومة المصرية الإجراءات الضرورية لتطبيق المقاطعة بصورة جادة[٢٥٥].

ومن الجدير بالذكر، أن قرار مقاطعة البضائع الصهيونية كان مجلس جامعة الدول العربية قد اتخذه في دورته الثانية التي انعقدت بالقاهرة

---

[٢٥٢] نفسه، ص٣٢٧.

[٢٥٣] راجع حول هذا الانتخاب: المصري، ١٣ يناير ١٩٤٦، انتخاب مصر عضواً في مجلس أمن الأمم المتحدة.

[٢٥٤] الفجر الجديد، مج١، ع١٧، ١٩ يناير ١٩٤٦، بمناسبة انتخاب مصر عضواً بمجلس الأمن الدولي: نريد حكومة ديموقراطية "أحمد رشدي صالح"، ص٣٧٩.

[٢٥٥] عبد الحميد محمد الموافي، مصر في جامعة الدول العربية: دراسة في دور الدولة الأكبر في التنظيمات الإقليمية ١٩٤٥ ـ ١٩٧٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣، ص١٤١.

في الفترة من ٣١ أكتوبر ١٩٤٥ ــ ١٤ ديسمبر ١٩٤٥[٢٥٦]، وقد التزمت الحكومات العربية بالقرار في البداية ووضعت عقوبات رادعة على مخالفيه[٢٥٧]، وهو ما أغضب الصهاينة وأثار قلق بريطانيا ودفعها للتدخل لإجهاض مفاعيله[٢٥٨].

الفجر الجديد بين لجنة التحقيق الأنجلو أمريكية ومجلس الأمن:-

بعد أقل من شهر على توليها الحكم، سارعت حكومة حزب العمال في بريطانيا إلى تشكيل لجنة يرأسها هربرت موريسون كانت مهمتها تقديم تقرير شامل لمجلس الوزراء حول الوضع في الشرق الأوسط عامة وفي فلسطين بوجه خاص[٢٥٩]، وبناء على عمل هذه اللجنة اتخذت الحكومة قراراً في ١١ سبتمبر ١٩٤٥ بأن ما يمكن السماح به في الفترة الفاصلة بين استهلاك حصة الكتاب الأبيض وإقرار سياسة جديدة هو هجرة ١٥٠٠ يهودي شهرياً إلى فلسطين[٢٦٠].

وقد كان هذا القرار يعكس مأزق حكومة العمال في بداية حكمها؛ فرغم تعاطف قواعد الحزب ومعظم قياداته مع الصهيونية ودعم موريسون نفسه وأغلب رجال لجنته طموحات الصهاينة، نظرت الحكومة العمالية بقلق إلى احتمالات تجدد ثورة عرب فلسطين ــ خاصة وأنهم لا يزالون يشكلون أغلبية سكانية كبيرة هناك ــ كما كانت ترفض بحسم سفك أية دماء بريطانية في مواجهة "حرب أهلية" بين اليهود والعرب، ومن هنا عبر

---

[٢٥٦] راجع أحكام هذا القرار في: جامعة الدول العربية، قرارات مجلس جامعة الدول العربية الخاصة بقضية فلسطين الصادرة منذ الدورة الأولى حتى الدورة الخامسة والثلاثين: يونيه "حزيران" ١٩٤٥ ــ مارس "آذار" ١٩٦١، القاهرة، ١٩٦١، ص٤٤ ــ ٤٥.

[٢٥٧] محمد عزة دروزة، القضية الفلسطينية، ج٢، ص٣٨.

[258] بعد صدور قرار المقاطعة العربية تأثرت التجارة اليهودية في فلسطين بشدة في بداية عام ١٩٤٦، فقدم اليهود هناك شكوى إلى حكومة الانتداب واصفين ما حدث بأنه "سلوك قومي جنوني"، وقد أدانت سلطة الانتداب المقاطعة واعتبرتها "غير شرعية" وأصدرت بياناً رسمياً في ١١ يناير ١٩٤٦ أوضحت فيه أن المندوب السامي البريطاني في فلسطين يتشاور مع وزير المستعمرات بصدد اتخاذ الخطوات الملائمة تجاه هذا السلوك، لأن بريطانيا كدولة منتدبة تعد "مسئولة عن رفاه الشعوب في فلسطين"؛ راجع: فلاح خالد علي، مرجع سابق، ص٢١٤؛ وأيضاً: Kirk. George, The Middle East 1945 – 1950, Oxford university press, 1954, p.209.

[259] أحمد عبد الرحيم مصطفى، مرجع سابق، ص٢١.

[260] Cohen, op.cit,p.27.

القرار عن تحفظ بريطانيا في تلك اللحظة تجاه فكرة الهجرة اليهودية الواسعة التي كان الصهاينة يضغطون من أجلها، كما شكل محاولة للتملص من المطلب الصهيوني الدائم بالإلغاء الكلي للكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩[٢٦١].

ومع تتابع تصريحات ورسائل ترومان من أجل فتح الباب أمام ١٠٠ ألف يهودي للهجرة إلى فلسطين ـ كما سبقت الإشارة ـ قررت بريطانيا مواجهة هذه الضغوط بإشراك الولايات المتحدة في تحمل مسئولية رسم السياسة الواجب اتباعها في ذلك البلد؛ فاقترحت في ١٩ أكتوبر ١٩٤٥ تشكيل "لجنة أنجلو أمريكية" تحت رئاسة مشتركة تكون مهمتها دراسة وضع اليهود الموجودين في المناطق التي تحتلها بريطانيا والولايات المتحدة في ألمانيا وتقدير عدد اليهود الذين يستحيل إعادة توطينهم في بلدانهم الأصلية، وبحث إمكانية تخفيف الأزمة في أوربا عن طريق فتح باب الهجرة أمام هؤلاء إلى دول أخرى خارج أوربا، كما سيكون ضمن اختصاصات هذه اللجنة دراسة موضوع الهجرة اليهودية إلى فلسطين والتشاور مع العرب بما يضمن استمرارها طبقاً لمعدلها الشهري المحدد[٢٦٢].

وفي ٢٤ أكتوبر أبدى الأمريكيون موافقتهم على الاقتراح البريطاني، لكنهم طلبوا ثمناً لذلك أن تكون دراسة أوضاع فلسطين واحتمالات الهجرة والاستيطان اليهودي فيها الأولوية الأولى للجنة الجديدة[٢٦٣].

في الإطار الجيوبوليتيكي العام، يمكن فهم لهفة بريطانيا في تلك اللحظة على إشراك الولايات المتحدة معها في تحمل مسئولية فلسطين بالوضع في الاعتبار أنه مع تولي حكومة العمال سعى رئيسها آتلي لإجراء تعديلات جوهرية على السياسة البريطانية؛ حيث كان يرى ضرورة التخفف جزئياً من أعباء الشرق الأوسط في ظل التحولات التي طرأت على الاستراتيجيات العسكرية والتي نتج عنها فقدان القوات البحرية الأهمية التي كانت لها من قبل بعد أن صار للسلاحين الجوي والذري الأهمية الأكبر، وخاصة بعد أن تضعضعت قوة بريطانيا الاقتصادية وأصبحت لا تتحمل

---

(261) Bullock, op.cit, p.170.

(262) The British ambassador (Halifax) to the secretary of state, October 19, 1945, in; FRUS, 1945, VOL.VIII, op.cit, ebook.

(263) The secretary of state to the British ambassador (Halifax), October 24, 1945, in; FRUS, Ibid, ebook.

النفقات الهائلة التي يتطلبها الإبقاء على نفوذها الأساسي في هذه المنطقة[٢٦٤].

وبإسقاط هذا التصور العريض على الوضع الفلسطيني خاصة، يمكن القول أن هدف الاقتراح البريطاني بتشكيل لجنة التحقيق كان تأجيل اتخاذ أية قرارات لمدة أربعة أشهر على الأقل، انتظاراً لمساعدة أمريكية لبريطانيا تتيح لها تنفيذ برنامج صهيوني "معتدل" لا يثير مزيداً من التعقيدات مع العرب[٢٦٥]، كما أن هذه الشهور قد تكون كفيلة بتخفيف الضغط المتعلق بالهجرة اليهودية إلى فلسطين، خاصة إذا أمكن توطين بعض المشردين اليهود في أوربا نفسها أو قبلت الولايات المتحدة عدداً منهم[٢٦٦].

وتأسيساً على كل هذا، كشف وزير الخارجية البريطاني إرنست بيفن في بيان ألقاه في مجلس العموم في ١٣ نوفمبر ١٩٤٥ عن هذا التوافق الأنجلو أمريكي بخصوص تشكيل اللجنة، وأوضح أن هذه اللجنة ستدرس وضع اليهود في البلدان التي احتلتها دول المحور سابقاً وتحدد عدد الذين يمكن إعادة دمجهم منهم في أوطانهم الأصلية أو أماكن إقامتهم الحالية، وعدد الذين يسعون أو تجبرهم الظروف على الهجرة إلى فلسطين أو إلى بلدان أخرى خارج أوربا، على أن يتم تقدير آفاق الهجرة اليهودية إلى فلسطين بالتشاور مع ممثلي العرب واليهود، وفي هذا السياق أشار بيفن ـ في تأكيد لقرار لجنة موريسون الوزارية ـ إلى أنه كترتيب مؤقت حتى تصدر اللجنة الأنجلو أمريكية توصياتها سيتم التشاور مع العرب بشأن استمرار الهجرة اليهودية بمعدلها الشهري المقرر وهو ١٥٠٠ مهاجر شهرياً[٢٦٧].

وبشكل ضمني، عبر بيفن في بيانه عن امتعاضه من الضغوط الأمريكية التي مورست على بلاده بخصوص اليهود؛ فأشار إلى ما طُلب من حكومته من السماح بهجرة يهودية واسعة إلى فلسطين، ليؤكد أنه رغم ما قد توفره فلسطين من مساهمة في حل مشكلة يهود أوربا، فإنها لا تقدم وحدها فرصة كافية للتعامل مع هذه المشكلة برمتها، موضحاً لمستمعيه ما سبق لآتلي أن شرحه لترومان وهو أن أي تغييرات حادة وغير منسقة في

---

[٢٦٤] نعمة حسن البكر، الهيمنة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية: العلاقات البريطانية الأمريكية ١٩٤٥ ـ ١٩٥٣ دراسة في العلاقات السياسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢، ص٢٧٠ ـ ٢٧١.

[265] Crossman, op.cit, p.56.

[٢٦٦] أحمد عبد الرحيم مصطفى، مرجع سابق، ص٢٣.

[267] The Manchester Guardian, Nov 14, 1945, A new approach to Palestine problem of Europe,s jewry.

السياسة المتبعة بفلسطين قد تفجر ردود فعل خطرة على امتداد الشرق الأوسط وصولاً إلى الأقلية المسلمة الكبيرة في الهند(٢٦٨).

وقد كان رد الفعل العربي الرسمي إزاء الإعلان عن تشكيل هذه اللجنة خافتاً بشكل مؤسف، حيث اقتصر على بيان خجول أصدره مجلس جامعة الدول العربية وطالب فيه على استحياء باستقلال فلسطين "الذي ينتظر العرب تحقيقه بأسرع ما يمكن"، مشدداً على ضرورة أن يتم ذلك في إطار من "حسن التفاهم" مع بريطانيا(٢٦٩).

ولا شك أن صدور البيان العربي بهذه الصيغة، كان تعبيراً عن قلق دوائر السياسة العربية عموماً من الدور الأمريكي الأكثر دعماً للصهيونية، واعتقادها ـ السطحي نوعاً ما ـ بأن التعامل مع بريطانيا بمفردها قد يكون أسهل(٢٧٠).

وتعليقاً على هذا الرد الضعيف نشر علي الكاتب ـ علي الراعي ـ مقالاً على صفحات الفجر الجديد انتقد فيه "الروح الرخو المستخذي" الذي ظهر في بيان الجامعة العربية، مؤكداً أنه كان يتمنى "أن تظهر الجامعة في صراحة وعزم مسئولية الانتداب في أزمة فلسطين الحاضرة، وأن تطالب في قوة بمنح الشعب الفلسطيني حرياته التي تتمشى مع كفاحه المجيد وتتلاءم مع مقررات المؤتمرات الدولية"(٢٧١).

بعد ذلك، لفت الكاتب الانتباه إلى خطورة طلب بريطانيا المعاونة الأمريكية في حل مسألة فلسطين، ووضع الأمر في إطار اصطفاف القوى الاستعمارية الرئيسية لحصار الشيوعية والاتحاد السوفيتي، مؤكداً أن "بريطانيا تكتل القوى الرجعية في الشرق العربي لتكون نطاقاً آخر حول الاتحاد السوفيتي، ويأخذ هذا التكتيل أحد أشكاله في جامعة الدول العربية"(٢٧٢).

---

(268) Kirk, The Middle East 1945 – 1950, p.199.

(٢٦٩) راجع: الأهرام، ٧ ديسمبر ١٩٤٥، رد مجلس جامعة الدول العربية على تصريح مستر بيفن عن فلسطين.

(٢٧٠) Crossman, op.cit, p.113, ولعل من الجدير بالانتباه، أن هذا التصور الساذج كان مسيطراً حتى على الدوائر العربية القيادية في فلسطين نفسها، فأكدت اللجنة العربية العليا في ردها على بيفن أنها لا توافق على أن يكون للحكومة التي لا تأخذ على عاتقها مسئوليات رسمية في فلسطين ـ المقصود الولايات المتحدة ـ ما تقوله في هذه القضية، إن العرب "يعتبرون أن القضية قائمة بينهم وبين بريطانيا"، ولا يقرون لأي شعب آخر أو دولة أخري بحق تقرير مصيرهم ومصير وطنهم؛ راجع: فلاح خالد علي، مرجع سابق، ص٢٠٩.

(٢٧١) الفجر الجديد، مج١، ع١٥، ١٦ ديسمبر ١٩٤٥، الجامعة العربية في دورتها الحاضرة "علي الكاتب"، ص٣٣١.

(٢٧٢) نفس المصدر والصفحة.

واستمراراً في انتقاداته اللاذعة للجامعة العربية، انتبه الكاتب بشكل مبكر ولافت لأهمية العمل الدعائي والإعلامي في خدمة قضية فلسطين؛ فهاجم وسائل الدعاية العربية وانتقد ما تمارسه من دور سلبي في "تخدير الوعي العربي"[٢٧٣]، مقارناً ذلك بالجهود المكثفة التي تبذلها الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة[٢٧٤]، والتي تستعمل "المحاضرات والنشرات والراديو والسينما لنشر أكاذيب الصهيونية بين الأمريكيين"[٢٧٥]. وقد أوضح الكاتب هنا أن الصهيونية لا يكافحها مجلس من حكومات عربية "متهادنة مع الاستعمار وغير جادة في محاربته"، وإنما يحاربها نشر الوعي بين العرب "وذلك بتعميق الديموقراطية وإطلاق حرية الصحافة والرأي والاجتماع"، واستناداً إلى هذا الطرح أكد الرجل في ختام مقاله أن "توحيد الأحزاب العربية الرسمية في فلسطين وتجاهل القوة الوحيدة التي بح صوتها بالدعوة إلى تكوين جبهة وطنية ـ ونعني بها عصبة التحرر الوطني ـ هو تكتيل آخر في صالح الاستعمار للقوى الرجعية المتهادنة معه، وإضعاف للقوى الشعبية التي هي القوى الوحيدة القادرة على مكافحة الصهيونية"[٢٧٦].

يلفت النظر في هذا المقال عدم انتباه الفجر الجديد مجدداً ـ أو ربما عدم اكتراثها ـ بالتناقض الثانوي والواقعي بذات الوقت بين بريطانيا والولايات المتحدة حول فلسطين، والذي كان تشكيل "اللجنة الأنجلو أمريكية" محاولة لحله أكثر من أي شئ آخر، ووضعها الأمر كله في خانة الصراع الإيديولوجي المستجد والاصطفاف الغربي لحصار الاتحاد السوفيتي، وهي في هذا ترصد بداية تصدع تحالف المنتصرين في الحرب العالمية الثانية وتشكل الملامح الأولى لما صار يعرف فيما بعد باسم "الحرب الباردة"، وعلى هذا المستوى كان ما جاء هنا رجع صدى لدعاية سوفيتية قوية اتهمت تركيا في تلك الفترة بالتحول إلى "مستعمرة بريطانية"، في ظل تصاعد محاولاتها تحت رعاية بريطانيا لتعزيز روابطها مع بعض دول المشرق العربي المحافظة بما يستهدف مواجهة سياسات الاتحاد السوفيتي، خاصة في ضوء مطالبة السوفيت آنذاك باستعادة بعض المناطق

---

[٢٧٣] نفس المصدر والصفحة؛ وحول جهود مكاتب الدعاية التابعة للجامعة العربية في لندن وواشنطون في الدعاية لقضية فلسطين وفشلها في تحقيق النتيجة المرجوة منها راجع: سحر علي حنفي، مرجع سابق، ص١٣٠ ـ ١٣١.

[274] Stevens, op.cit, pp.98 – 101.

[٢٧٥] الفجر الجديد، مج١، ع١٥، ١٦ ديسمبر ١٩٤٥، الجامعة العربية في دورتها الحاضرة "علي الكاتب"، ص٣٣١، ٣٤٦.

[٢٧٦] نفسه، ص٣٤٦.

التي كانت قد ضُمت إلى تركيا والحصول على موطئ قدم لهم قرب المضائق التركية[٢٧٧].

وفي إطار موقف المقال السلبي من الجامعة العربية، يظهر هنا اندفاع الفجر الجديد للمرة الأولى للخوض في السجال السياسي الفلسطيني الداخلي؛ وذلك من خلال دعمها وتضامنها مع حليفتها "عصبة التحرر الوطني" في مواجهة تجاهل الجامعة إياها في التشكيل الجديد "للجنة العربية العليا" التي كانت تمثل الإطار السياسي الأساسي لعرب فلسطين آنذاك[٢٧٨]، وهو ما يكشف ـ بشكل ما ـ طبيعة الجامعة نفسها بوصفها تعبيراً عن الأنظمة العربية ذات البنى الإقطاعية اليمينية الخاضعة للاستعمار.

واستمراراً في مواجهة هذا السلوك للجامعة العربية، وتأكيداً على موقفها الداعم تقليدياً لعصبة التحرر الوطني، نشرت الفجر الجديد ـ في أجواء الاجتماع الكبير الذي انعقد تحت رعاية "اللجنة العربية العليا" في القدس وتقرر فيه رفض اقتراح الحكومة البريطانية باستمرار الهجرة اليهودية إلى فلسطين بمعدل ١٥٠٠ مهاجر شهرياً[٢٧٩] ـ بياناً للعصبة تبنت فيه رؤية كانت جديدة ولافتة آنذاك؛ حيث شددت على حتمية "أن تكون قيادة النضال الوطني في فلسطين بأيدي الشعب العربي ـ الفلسطيني ـ المجاهد، وأن تكون الجامعة العربية مؤيداً ومؤازراً"، موضحة أنها "لن

---

(277) Kirk, The Middle East 1945 – 1950, pp.21 – 30.

(٢٧٨) مع قيام الحرب العالمية الثانية، تشتت أعضاء "اللجنة العربية العليا" في المنافي بين أوروبا وروديسيا وتركيا ومصر ولبنان فتوقف نشاطها تماماً، ورغم عدة محاولات جرت أثناء الحرب لتأليف لجنة جديدة لم يصل الأمر إلى شئ بسبب الحزازات بين رؤساء الأحزاب الفلسطينية الرئيسية، وفي الدورة الثانية لمجلس جامعة الدول العربية المنعقدة في القاهرة بين نهاية أكتوبر ومنتصف ديسمبر ١٩٤٥ قرر التدخل لحسم هذا الأمر، فذهب رئيس الدورة السياسي السوري جميل مردم في نوفمبر ١٩٤٥ إلى فلسطين ومعه تقي الدين الصلح وخير الدين الزركلي وحاولوا التوفيق بين المتخاصمين، وكانت نتيجة ذلك أن فوض رؤساء هذه الأحزاب مردم باختيار اللجنة الجديدة، فاختارها من ممثلي الأحزاب الستة الرئيسية التي كانت ممثلة في اللجنة العليا السابقة عدا توفيق الحسيني الذي كان يقوم مقام أخيه جمال الحسيني المنفي في روديسيا في رياسة الحزب العربي، واختير مع هؤلاء أحمد حلمي عبد الباقي وموسى العلمي ويوسف صهيون وإميل الغوري؛ راجع: دروزة، القضية الفلسطينية، ج٢، ص٣٩ ـ ٤٠؛ وحول موقف عصبة التحرر الوطني مما حدث راجع: شئون فلسطينية، تشرين الثاني "نوفمبر" ١٩٨٠، عصبة التحرر الوطني والمسألة القومية العربية في فلسطين ١٩٤٣ ـ ١٩٤٨ "ماهر الشريف"، ص٧٧ ـ ٧٨.

(٢٧٩) راجع حول هذا الاجتماع: المصري، ١٠ يناير ١٩٤٦، نائب بريطاني يندد بالصهيونية ـ عرب فلسطين يرفضون طلب الهجرة.

تتردد في إيقاف جميع الاتجاهات التي تريد أن تخرج القضية في فلسطين من يد أهل البلاد"[٢٨٠].

يظهر في هذا البيان "نفس استقلالي" مبكر، وتبدأ في التبلور الرغبة في أن يتحكم الشعب الفلسطيني بمسار قضيته بعيداً عن مناورات السياسة العربية، وهذه مسألة شكلت فيما بعد هاجساً مزمناً للنضال الفلسطيني في علاقته الملتبسة بمحيطه العربي[٢٨١].

وعلى وقع بداية جلسات الاستماع الخاصة ب"لجنة التحقيق الأنجلو امريكية" في واشنطون[٢٨٢]، أعلنت العصبة في بيانها ـ امتداداً للنفس الاستقلالي ذاته ـ موقفها من هذه اللجنة؛ فأكدت "أننا لا نعترف بقانونية أية هيئة أو لجنة تحقق في مصيرنا وتقرره، فنحن أسياد هذا المصير ومطالبنا معروفة: إلغاء الانتداب وإنشاء حكومة وطنية ديموقراطية مستقلة"[٢٨٣].

هذا الموقف المناوئ للجنة التحقيق الأنجلو أمريكية ظل بعد ذلك يتصاعد بقوة في خطاب الفجر الجديد؛ فانتقدت في تقرير لها السياق السياسي لتشكيلها لكونها تمثل تخطياً لهيئة الأمم المتحدة الجديدة، مؤكدة أن "الأوساط الرجعية في لندن وواشنطون" تبذل قصارى جهدها لجعل هذه الهيئة قاصرة ولا قيمة لها، ولهذا عجلت في تعيين اللجنة "للفصل في مشكلة فلسطين قبل اجتماع هيئة الأمم المتحدة، حتى لا تفسح المجال أمام الرأي العام العربي لبسط قضيته أمام الرأي العام الدولي، لا أمام هيئة تحكيم هي في الواقع أحد الطرفين المتخاصمين"[٢٨٤].

يعكس موقف الفجر الجديد هنا ـ في أجواء التفاؤل التي عمت العالم للحظة قصيرة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وهزيمة الفاشية ـ أملاً ما في أن يكون للأمم المتحدة ومجلس الأمن التابع لها بوصفهما ممثلين للإرادة الدولية، دوراً أساسياً في حل قضية فلسطين بما ينسجم مع مفاهيم العدالة والحرية، وقد ارتبط هذا الأمل أساساً بالتمثيل الفاعل للاتحاد

---

[٢٨٠] الفجر الجديد، مج١، ع١٨، ٢٣ يناير ١٩٤٦، قرارات عصبة التحرر الوطني الفلسطينية، ص٤٠٧.

[٢٨١] حول المسار التاريخي لتطور هذه الإشكالية في الوعي الفلسطيني راجع: إبراهيم ابراش، البعد القومي للقضية الفلسطينية: فلسطين بين القومية العربية والوطنية الفلسطينية، مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت، ١٩٨٧، ص١٩٠ ـ ٢١٢.

[282]Crossman, op.cit, p.23.

[٢٨٣] الفجر الجديد، مج١، ع١٨، ٢٣ يناير ١٩٤٦، قرارات عصبة التحرر الوطني الفلسطينية، ص٤٠٧.

[٢٨٤] الفجر الجديد، مج١، ع١٨، ٢٣ يناير ١٩٤٦، حركة العالم في أسبوع "إبراهيم الكاشف"، ص٤١٢.

السوفيتي والدول المناصرة له في هذه المنظمة، وكان هذا يتماشى مع رؤية الفجر للقضية الوطنية المصرية نفسها، حيث طالبت مراراً بعرضها على مجلس الأمن وإخراجها من حيز العلاقة الثنائية مع بريطانيا[٢٨٥]، تعبيراً عن توجه واسع ساد الرأي العام المصري في تلك اللحظة ووجد في مجلس الأمن باباً يجب طرقه في مدار السعي لاستقلال مصر[٢٨٦].

***

في أوائل عام ١٩٤٦، أدلى أمين عام الجامعة العربية عبد الرحمن عزام بتصريح لافت، قال فيه أن "أبناء الأقطار العربية سيحاربون الاستعمار الفرنسي بنفس العزم الذي يحاربون به الاستعمار السوفيتي"[٢٨٧].

وإذا أردنا تفسير هذا التصريح، يجب أن نفهم المنظور البريطاني للوحدة العربية ولدور جامعة الدول العربية بالذات؛ ففي ضوء محاولة حكومة العمال آنذاك إعادة تنظيم سياسة بريطانيا في المنطقة ــ كما سبقت الإشارة ــ خاصة في ظل احتمال فقدان الاحتياطي البشري الهندي مع قرب استقلال الهند وكذلك نزوع الدول العربية إلى تحقيق استقلالها، كان لا بد لبريطانيا من مساندة صيغة ما لتوحيد العرب باعتبار ذلك أساساً محتملاً لاستمرار الصداقة مع هذه الدول وخلق جدار لمواجهة خطر التقدم السوفيتي في الشرق الأوسط، وفي هذا الإطار بدت الجامعة العربية ــ على مستوى معين ــ بديلاً للحاميات البريطانية التي تتكلف كثيراً من النفقات[٢٨٨].

وعلى هذه الخلفية، اتخذ الاتحاد السوفيتي موقفاً سلبياً إزاء الجامعة منذ اللحظة الأولى، حيث اعتبرها قوة رجعية عميلة لبريطانيا وأداة لمحاربة حركة التحرر في الشرق الأوسط[٢٨٩].

---

[٢٨٥] راجع مثلاً: الفجر الجديد، مج١، ع٩، ١٦ سبتمبر ١٩٤٥، على ضوء البيانات الوطنية الأخيرة: ستنتصر حرية الشعب المصري لا محالة "أحمد رشدي صالح"، ص١٨٧؛ وأيضاً: الفجر الجديد، مج١، ع١٩، ٣٠ يناير ١٩٤٦، هيا إلى مجلس الأمن: واجب عاجل وإمكانيات هائلة "سعيد خيال"، ص٤٣٤ ــ ٤٣٥.

[٢٨٦] راجع مثلاً: محمد يوسف الجندي، ٢١ فبراير توجه جديد للحركة الوطنية، دار الثقافة الجديدة، ١٩٨٦، ص٢٠.

[٢٨٧] الفجر الجديد، مج١، ع١٩، ٣٠ يناير ١٩٤٦، إلى أين تسير الجامعة العربية؟ "نقلاً عن مجلة الاتحاد الفلسطينية الغراء"، ص٤٢٨.

[٢٨٨] أحمد عبد الرحيم مصطفى، مرجع سابق، ص٦٨.

[٢٨٩] نورهان الشيخ، موقف الاتحاد السوفيتي وروسيا من الوحدة العربية منذ الحرب العالمية الأولى حتى اليوم، مركز دراسات الوحدة العربية ــ بيروت، ٢٠١٣، ص٩٠.

وربما اتساقاً مع هذا الموقف، استمرت الفجر الجديد في تصعيد خطابها الناقد للجامعة العربية، فنقلت عن مجلة "الاتحاد" الفلسطينية اليسارية مقالاً أبدت فيه دهشتها من تصريح عزام، معتبرة أن من غير المفهوم "إقحام الدولة الكبرى الوحيدة التي تقاوم الاستعمار بشتى أنواعه ومختلف مظاهره وتشويه وجهها بصورة استعمارية بغيضة"، وسخرية من كلام عزام طالب المقال بالبحث "عن المناطق أو البلاد العربية التي يحتلها الجيش الأحمر"، ومن ثم مراجعة التاريخ "منذ الثورة الاشتراكية الكبرى" للتعرف على "سياسة الاتحاد السوفيتي الاستعمارية في البلاد العربية أو غيرها"(٢٩٠).

وفي سياق الرد على عزام أيضاً، أشار المقال إلى مواقف الجامعة العربية الملتبسة إزاء القضية الفلسطينية، فهي "لم تطالب بإلغاء الانتداب البريطاني عن كامل فلسطين وإنشاء حكومة وطنية ديموقراطية فيها ... بينما تعالت أصواتها بضرورة إنقاذ الأراضي ـ هناك ـ ومقاطعة البضائع الصهيونية"(٢٩١).

وتعليقاً على هذا المقال، نشرت الفجر الجديد نفسها مقالاً استمرت فيه السخرية من ممارسات الجامعة فيما يتعلق بفلسطين، وبالذات من دعواتها المتكررة لمقاطعة البضائع الصهيونية "بالنسبة للخطر الصهيوني فإني أحب أن أشير للزميلة ـ الاتحاد ـ على موقف الجامعة العربية، فلعلها لم تسمع بمقاطعتها للبضائع الصهيونية رغم انغماسها في الحركة الوطنية ... ولعلها لم تسمع أيضاً بذلك النداء الحار الذي توجهت به لجنة سيدات فلسطين ـ أو لعلها لجنة سيدات العرب ـ إلى سيدات الشرق بضرورة التمسك بهذا القرار"(٢٩٢).

يلفت النظر هنا السخرية المتكررة من دعوات مقاطعة البضائع الصهيونية رغم أهمية هذا الأمر وجدواه التي أشرنا إليها فيما سبق ـ في مرحلته الأولى على الأقل ـ وربما تستبطن هذه السخرية وعياً بعدم جدية هذه الدعوات والقرارات، خاصة في ضوء التدخلات البريطانية لإجهاضها وإفراغها من مضمونها.

وبالعودة إلى لجنة التحقيق الأنجلو أمريكية، طلبت الفجر الجديد من رئيس الوزراء تفسيراً لتصريح أدلى به ممدوح رياض بك ممثل مصر

---

(٢٩٠) الفجر الجديد، مج١، ع١٩، ٣٠ يناير ١٩٤٦، إلى أين تسير الجامعة العربية؟ "نقلاً عن مجلة الاتحاد الفلسطينية الغراء"، ص٤٢٨.

(٢٩١) نفس المصدر والصفحة.

(٢٩٢) الفجر الجديد، مج٢، ع٢١، ١٣ فبراير ١٩٤٦، إلى هذا تسير الجامعة العربية "نصر وحيد"، ص٤٧٠.

أمام هذه اللجنة وأكد فيه أن الكتاب الأبيض قد حل مشكلة فلسطين بعد أن قبله العرب، وهو ما رأت فيه الفجر مساساً بحقوق الشعب الفلسطيني وتأييداً للاستعمار[٢٩٣].

يبدو هنا ـ في اعتقادنا ـ قدر من التشدد الزائد في تعاطي الفجر الجديد مع هذا التصريح، الذي أتى ترجمة لموقف الدبلوماسية المصرية الحذر من اللجنة الأنجلو أمريكية بالذات، وهو موقف ارتكز أساساً على ضرورة المحافظة على الكتاب الأبيض ومواجهة محاولات تجاوزه أو إلغائه، بوصفه يمثل وثيقة بريطانية متوازنة ـ نسبياً ـ بخصوص قضايا الهجرة اليهودية والاستيطان في فلسطين[٢٩٤].

واستمراراً في موقفها المناوئ للجنة الأنجلو أمريكية، نشرت الفجر الجديد في ٢٠ فبراير ١٩٤٦ بياناً ل"عصبة مكافحة الصهيونية" في العراق، التي تضم بعض اليهود اليساريين العراقيين[٢٩٥]، وقد أكد البيان بصرامة منذ البداية أن "قضية فلسطين لا تحتاج إلى تحقيق فهي واضحة وضوح الحق"، كما سخر من استمرار بريطانيا على مدى ربع قرن في تأليف لجان تحقيق حول فلسطين، مشدداً على أن "التحقيق لن ينته ما لم تأخذ فلسطين العربية، تعاونها الشعوب العربية، حقها أخذاً وتنتزع استقلالها انتزاعاً"، أما بالنسبة للمشكلة اليهودية فإنها "لا يمكن أن تحل إلا بقيام نظم ديموقراطية في الأقطار التي يستوطنها اليهود في العالم"[٢٩٦].

وقد علق البيان على قرار الحكومة البريطانية بالسماح بهجرة ١٥٠٠ مهاجر يهودي شهرياً إلى فلسطين، والذي دخل حيز التنفيذ منذ أواخر يناير ١٩٤٦ رغم رفض عرب فلسطين له[٢٩٧]، فاعتبر أنه "يدل دلالة قاطعة على استهتار الاستعمار البريطاني بوعوده وتعهداته"، لأنه

---

[٢٩٣] الفجر الجديد، مج٢، ع٢١، ١٣ فبراير ١٩٤٦، بماذا يجيب رئيس الوزراء، ص٤٧٩.

[٢٩٤] حول موقف الدبلوماسية المصرية من اللجنة الأنجلو أمريكية راجع: إسلام محمد عبد الخالق قاسم، مرجع سابق، ص١٧٧ ـ ١٨٥.

[٢٩٥] تأسست هذه العصبة عام ١٩٤٥ مع تصاعد اهتمام الشارع العربي بقضية فلسطين في أجواء نهاية الحرب العالمية الثانية، وقد أسسها مجموعة من الأعضاء اليهود في الحزب الشيوعي العراقي بتكليف من الحزب، واستمرت قائمة لعام واحد إلى أن اعتقلت الحكومة العراقية قادتها في يونيو ١٩٤٦؛ راجع حول مزيد من التفاصيل: شئون فلسطينية، تشرين الثاني "نوفمبر" ١٩٧٢، عصبة مكافحة الصهيونية في العراق "عبد القادر ياسين"، ص١٥٨ ـ ١٦٦.

[٢٩٦] الفجر الجديد، مج٢، ع٢٢، ٢٠ فبراير ١٩٤٦، بيان عصبة مكافحة الصهيونية العراقية إلى الرأي العام العربي والديموقراطيين جميعاً "الهيئة المؤسسة لعصبة مكافحة الصهيونية"، ص٤٩٨.

[٢٩٧] راجع: محمد عزة دروزة، القضية الفلسطينية، ج٢، ص٤٢ ـ ٤٣.

"يناقض كل المناقضة ما جاء في الكتاب الأبيض وهو عهد بريطاني أيضاً"، بل إن القرار "يعد استهتاراً بوجود لجنة التحقيق نفسها واعترافاً بعدم أهميتها، لأن في الوقت الذي تعارض فيه بريطانيا عرض قضية فلسطين على مجلس الأمن بحجة وجود اللجنة وانتظاراً لقراراتها، تقوم باتخاذ هذا القرار الذي يناقض كل تعهداتها للعرب دون أن تعبأ بوجود اللجنة أو تنتظر قراراتها"(٢٩٨).

وتعليقاً على العمليات الكبيرة التي قامت بها المنظمات الإرهابية الصهيونية في فلسطين ضد الوجود البريطاني ومؤسساته منذ أواخر ١٩٤٥ وطوال الأسابيع الأولى من عام ١٩٤٦، والتي كانت تعبيراً عن غضب الصهاينة من تردد حكومة العمال في دعم المشروع الصهيوني واستمرارها في اتباع توصيات الكتاب الأبيض كسياسة رسمية(٢٩٩)، قلل البيان من أهمية هذه العمليات ولم ير فيها سوى حجة يقدمها الصهاينة للاستعمار البريطاني "ليحشد قوات كبيرة في فلسطين، ظاهرها مقاومة هذه الأعمال الإرهابية وباطنها ضرب الحركات التحريرية في البلدان العربية كافة، خصوصاً وأن المطالبة بجلاء القوات الأجنبية عن جميع البلاد العربية أصبحت شعار العرب في العراق ومصر وسوريا ولبنان"(٣٠٠).

ربما لم ينتبه البيان هنا إلى الأساس الموضوعي لهذه الأعمال الإرهابية الصهيونية، وهو ما أشرنا إليه سابقاً من تباين أمريكي بريطاني في مستوى دعم المشروع الصهيوني بعد أيلولة هذا المشروع إلى الحضن الأمريكي، وغضب الصهاينة من تباطؤ بريطانيا النسبي في دعم مشروعهم تعبيراً عن امتعاضها إزاء التحولات الجديدة.

وفي عددها التالي، استمرت الفجر الجديد في الدفاع عن الحق الفلسطيني وانتقاد لجنة التحقيق الأنجلو أمريكية؛ فنقلت عن مجلة "نيو تيمس" السوفيتية إشارتها السلبية إلى هذه اللجنة، وتساؤلها المستنكر "لماذا تنفرد بريطانيا وأمريكا بحل مسألة تتعلق بمجموعة الأمم المتحدة جميعاً؟"،

---

(٢٩٨) الفجر الجديد، مج٢، ع٢٢، ٢٠ فبراير ١٩٤٦، بيان عصبة مكافحة الصهيونية العراقية إلى الرأي العام العربي والديموقراطيين جميعاً "الهيئة المؤسسة لعصبة مكافحة الصهيونية"، ص٤٩٨؛ ولا شك أن بريطانيا كانت تدرك بوضوح مغزى رفع قضية فلسطين إلى الأمم المتحدة ومجلس الأمن وما يعنيه ذلك من تجاوز لنفوذها المتآكل في ذلك البلد ذي الأهمية الحيوية، ولذا كان أي طرح عربي لهذه الإمكانية يثير حساسية الإنجليز بشدة؛ راجع: هنري لورنس، مرجع سابق، ص٤٠٦.

(299) Bar-Zohar, op.cit, p.83.

(٣٠٠) الفجر الجديد، مج٢، ع٢٢، ٢٠ فبراير ١٩٤٦، بيان عصبة مكافحة الصهيونية العراقية إلى الرأي العام العربي والديموقراطيين جميعاً "الهيئة المؤسسة لعصبة مكافحة الصهيونية"، ص٤٩٨.

وهو التساؤل الذي أردفته بتأكيد أن "مشاكل يهود أوربا لا يمكن أن تحل عن طريق الهجرة إلى فلسطين بل بإعادتهم إلى الدول التي ينتمون إليها"(٣٠١).

يكشف لنا هذا الاقتباس سبباً جديداً يضاف إلى الأسباب القومية والإيديولوجية العامة لرفض الفجر الجديد المتشدد للجنة الأنجلو أمريكية، حيث رأت المجلة اليسارية في دور هذه اللجنة بما ينطوي عليه من انفراد أنجلو أمريكي بحل قضية فلسطين، محاولة لاستبعاد الاتحاد السوفيتي وإضعاف تأثيره الدولي في بداية عهد الحرب الباردة.

***

عشية وصول لجنة التحقيق الأنجلو أمريكية إلى القاهرة لاستكمال تحقيقاتها حول قضية فلسطين، انتقد لطفي عزوز في مقال له ما أسماه "سياسة التهدئة" التي انتهجتها جامعة الدول العربية حيال اللجنة(٣٠٢)، متهماً رجال الجامعة بالتخاذل والتآمر مع الاستعمار للحيلولة دون خروج قضية فلسطين "إلى النطاق الدولي"، لقد طرح هؤلاء جانباً ــ حسب الكاتب ــ مسألة وجود الاستعمار البريطاني في فلسطين "وعجزوا عن حل مشكلة اللاجئين ــ اليهود ــ باعتبارها مشكلة منفصلة عن مشكلة فلسطين، ورأوا أن خير الحلول هو مقاطعة البضائع الصهيونية في الوقت الذي أصبحت فيه فلسطين مظهراً من مظاهر تنازع المصالح البريطانية والأمريكية في الشرق الأوسط"(٣٠٣).

واستكمالاً لانتقاده الحاد للجامعة العربية، أرجع الكاتب سياستها المترددة إلى طبيعة تكوينها من قوى رجعية "لا يمكن اعتبارها مطلقاً وجها تقدمياً في تطور الموقف السياسي في الشرق الأوسط"، مؤكداً ــ في لمحة هامة ــ على البعد العربي للقضية الفلسطينية "إن المسألة ليست تأييد أو مناهضة الكتاب الأبيض وليست تقسيماً لفلسطين وليست لجاناً استعمارية مفروضة، ففلسطين جزء من العالم العربي وتطورها السلمي لا ينفصل عن التطور السلمي لجيرانها من البلاد العربية، وهذا لن يتحقق عن طريق اتفاقات ثنائية بريطانية أمريكية"(٣٠٤).

---

(٣٠١) الفجر الجديد، مج٢، ع٢٣، ٢٧ فبراير ١٩٤٦، ماذا في البلاد العربية، ص٥١٤.

(٣٠٢) حول قبول الجامعة العربية التعامل مع اللجنة راجع: الرابطة العربية، ٢٣ فبراير ١٩٤٦، عزام باشا يطلب بيانات، ص٢٤؛ وراجع كذلك: عصام الغريب، مرجع سابق، ص٢٨٢ ــ ٢٨٣.

(٣٠٣) الفجر الجديد، مج٢، ع٢٣، ٢٧ فبراير ١٩٤٦، موقف الجامعة العربية من لجنة التحقيق "ل.ع"، ص٥١٠.

(٣٠٤) نفس المصدر والصفحة.

في هذا المقال، يظهر لنا ــ لأول مرة في الفجر الجديد ــ تأكيد واضح على البعد القومي لقضية فلسطين، كما يتجلى أيضاً سبب عدم اكتراث الفجر فيما سبق بقرارات الجامعة العربية الخاصة بمقاطعة البضائع الصهيونية؛ حيث اعتبرت هذه القرارات ــ التي تم إجهاض مفاعيلها ــ غير كافية لحل القضية الفلسطينية ولا هدف لها إلا صرف الأنظار عن الدور المحوري للاستعمار البريطاني فيها، وتجنب السعي الجاد لإيقاف الهجرة اليهودية إلى فلسطين، والحيلولة دون تدويل القضية وعرضها على مجلس الأمن.

وقد تصاعدت انتقادات الفجر الجديد للجامعة العربية مع وصول اللجنة الأنجلو أمريكية إلى القاهرة بالفعل يوم ٢٨ فبراير ١٩٤٦[٣٠٥]، فهاجم سعد لبيب في مقال له البيان الترحيبي الذي ألقاه أمينها العام عبد الرحمن عزام أمام اللجنة[٣٠٦].

في البداية، سخر لبيب من قول عزام في بيانه أن فلسطين هي البلد العربي الوحيد الذي يرفض الهجرة اليهودية "لأن أخانا وابن عمنا قد تحول إلى يهودي روسي وبولوني وإنجليزي، لقد صار من الغربيين، أما إذا أراد أن يكون شرقياً كواحد منا فلا خلاف بيننا وبينه"، فاعتبر الكاتب أن معنى ذلك "أن بلدان الجامعة العربية كلها فيما عدا فلسطين تفتح أبوابها أمام أية هجرة صهيونية ما دامت الأغلبية ستظل للعرب"، وإذا "تنازل هؤلاء النازحين عن غربيتهم وأرادوا أن يكونوا شرقيين ــ طبعاً هذا الكلام لا ندري ولا يدري غيرنا كيف يُفهم!! ــ فلا بأس أيضاً من قبولهم في فلسطين"[٣٠٧].

كما رفض لبيب بقوة تأكيد عزام أن اللجنة الزائرة هي "لجنة أصدقاء" لا لجنة تحقيق، واعتبر أن الرجل بذلك قد آثر ألا يجرح شعور "أصدقائه" ولو كان في هذا "ضياعنا نحن"[٣٠٨].

وفي لمحة دالة، أكد لبيب أن الأمين العام للجامعة العربية نسي في تصريحاته "أن هناك شيئاً اسمه الاستعمار البريطاني في فلسطين وأن هذا

---

[305] The minister in Egypt (Tuck) to the secretary of state, Cairo, Marc 1, 1946, in: FRUS, 1946, vol.vii, The Near East and Africa, Washington, 2018, ebook.

[٣٠٦] راجع نص البيان في: جامعة الدول العربية، المجموعة الكاملة لخطب وكلمات الأمناء العامين لجامعة الدول العربية ١٩٤٥ ــ ٢٠١٨، المجلد الأول: الأمين العام عبد الرحمن عزام ١٩٤٥ ــ ١٩٥٢، الأمانة العامة، ٢٠١٩، ص٦٦ ــ ٦٨.

[٣٠٧] الفجر الجديد، مج٢، ع٢٤، ٦ مارس ١٩٤٦، أمين الجامعة العربية يتحدث!! "سعد لبيب"، ص٥٢٩.

[٣٠٨] نفس المصدر والصفحة.

الاستعمار هو الذي مكن للصهيونية فيها ... وأنه حريص على بقاء حالة الاضطراب والفوضى التي خلقها حتى يمكن بواسطتها تحقيق أغراضه الاستعمارية من تضليل الحركات الوطنية في فلسطين أولاً ثم في بلدان الشرق الأوسط، ومحاولة توجيه هذه الحركات نحو الصهيونية أو حتى نحو اليهود"[٣٠٩].

تعليقاً على هذا الطرح، يمكن القول أن عرض الفجر الجديد الغاضب لبيان عزام كان مجتزأ ومتحاملاً إلى حد ما، فالبيان لم يكن ضعيفا أو متخاذلاً كما يوحي مقال لبيب؛ حيث ربط عزام فيه بوضوح بين الصهيونية والاستعمار واعتبر الاستيطان الصهيوني في فلسطين شكلاً آخر للإمبريالية الغربية، كما نفى الرجل بقوة أية علاقة للرفض العربي للصهيونية بالعداء للسامية مشدداً على أن سبب الرفض هو ذلك النزوع الإمبريالي بالذات للظاهرة الصهيونية نفسها، وفضلاً عن ذلك فقد أكد ببساطة أن الحضارة الغربية هي التي خلقت مأساة اليهود وليس لها الحق بأن تفرضها على العالم العربي، وقد دفع هذا العرض أحد أعضاء اللجنة ـ وهو ذو ميل صهيوني قوي ـ للاعتراف بأن عزام قدم حجة متماسكة قد يؤدي القبول بها إلى إصابة الصهيونية في مقتل[٣١٠].

وعلى هذا، يبدو لنا أن سبب ذلك الموقف الحاد من الفجر الجديد تجاه البيان هو ـ مجدداً ـ موقف عزام السلبي من الاتحاد السوفيتي، وتقييم السوفييت السلبي للجامعة العربية ودورها.

ومن ناحية أخرى، نجد لزاماً علينا هنا أن نعيد التأكيد على أن ثمة مشكلة متكررة في خطاب الفجر الجديد هي التهوين أحياناً من خطر الصهيونية رغم رفضها المبدئي الواضح لها؛ فمع الوعي بأن الخطر الأساسي يظل خطر الاستعمار البريطاني، إلا أن من الخطأ بلا شك اعتبار الالتفات للصهيونية والعمل ضدها مجرد خدعة مارسها الاستعمار لإلهاء العرب عن مقارعته، وإذا كان من الضروري باليقين ألا يتوجه الصراع ضد اليهود بوصفهم يهوداً فإن من الغريب الإيحاء أنه لا يجب أن يتوجه ضد الصهيونية أيضاً!!، وعلى هذا يمكن اعتبار هذا الطرح إفراطاً من الفجر الجديد في محاولة نفي العنصرية عن قضية فلسطين، كما أنه ربما يُعد أيضاً ـ بشكل ما ـ ترديداً جديداً خافتاً لأصداء المنطق الطبقي الذي يحاول استمالة "اليهود الكادحين" بفلسطين في الصراع ضد الاستعمار والصهيونية.

---

[٣٠٩] نفس المصدر والصفحة.

[310] Crossman, op.cit, p.109 – 111.

ومع توجه اللجنة الأنجلو أمريكية إلى فلسطين نفسها في إطار تحقيقاتها[٣١١]، استمرت الفجر الجديد في تصعيد موقفها الرافض لدورها، فظهر على صفحاتها لأول مرة شعار "مقاطعة" اللجنة؛ حيث نشرت بياناً لعصبة التحرر الوطني الفلسطينية يحمل هذا المطلب ويطالب مجدداً بعرض القضية على الأمم المتحدة "لقد بدأ الاستعمار يشعر أن لا مفر من طرح قضيتنا أمام الأمم المتحدة، وبات يخشى من تأييد البلاد العربية وتأييد حلفائنا وعلى رأسهم الاتحاد السوفيتي لأهدافنا في إلغاء الانتداب وإنشاء حكومة ديموقراطية مستقلة في فلسطين، لذلك ألف لجنة التحقيق الأنجلو أمريكية التي لا تمثل سوى حلقات الاستعماريين ولا تخدم غير مآربهم"، وعلى هذا يجب أن "نقاطع" هذه اللجنة، لأنها "ستتقدم بحلول استعمارية مجحفة نرى في أولها وآخرها مشروع التقسيم الذي نعرف مدلوله وأهدافه"[٣١٢].

وانطلاقاً من هذا الموقف، انتقد البيان قرار "اللجنة العربية العليا" في فلسطين بالتعاون مع لجنة التحقيق[٣١٣]، باعتبار أن توصياتها ستتعارض يقيناً مع الأهداف الفلسطينية، مناشداً اللجنة العربية أن تعيد النظر في قرارها وترفض التعاون معها "وتتابع خطتها الموفقة التي طالبت على أساسها بإثارة قضية فلسطين أمام مجلس الأمم المتحدة"[٣١٤].

وقد استمر بعد ذلك تبني الفجر الجديد لمبدأ مقاطعة لجنة التحقيق الأنجلو أمريكية، فنشرت بياناً آخر "لعصبة مكافحة الصهيونية" في العراق حمل المطلب ذاته، على اعتبار أن "حل قضية فلسطين لا يتم إلا عن طريق توحيد نضال الشعوب العربية واعتمادها بالدرجة الأولى على كفاحها المشترك وعلى رفع قضية فلسطين إلى مجلس الأمن"[٣١٥].

وعززت العصبة العراقية مطلبها هذا بالتأكيد على أنه في الوقت الذي لم تنته فيه اللجنة من تحقيقاتها سمحت بريطانيا بمزيد من الهجرة إلى فلسطين

---

(311) Ibid, pp.117 – 118.

(٣١٢) الفجر الجديد، مج٢، ع٢٤، ٦ مارس ١٩٤٦، عصبة التحرر الوطني في فلسطين تدعو إلى مقاطعة لجنة التحقيق "بيان عصبة التحرر الوطني"، ص٥٤١.

(٣١٣) راجع حول هذا القرار: الأهرام، ١ مارس ١٩٤٦، قرار اللجنة العربية بفلسطين.

(٣١٤) الفجر الجديد، مج٢، ع٢٤، ٦ مارس ١٩٤٦، عصبة التحرر الوطني في فلسطين تدعو إلى مقاطعة لجنة التحقيق "بيان عصبة التحرر الوطني"، ص٥٤١؛ وحول مطالبة "اللجنة العربية العليا" بعرض قضية فلسطين على مجلس الأمن راجع: البلاغ، ١٠ فبراير ١٩٤٦، مشكلة فلسطين وهيئة الأمم المتحدة.

(٣١٥) الفجر الجديد، مج٢، ع٢٨، ٣ إبريل ١٩٤٦، يهود العراق يقاطعون لجنة التحقيق "الهيئة المؤسسة لعصبة مكافحة الصهيونية"، ص٦٠٦.

وأقر البرلمان الأمريكي قرارات داعمة للصهيونية فيها[٣١٦]، فلو "وضعنا جميع اعتبارات الغرب حول هذه اللجنة جانباً واكتفينا بهذه الدلائل لحكمنا بعجزها عن القيام بتحقيق عادل محايد في قضية فلسطين وعجزها عن إصدار حكم يمس جوهر القضية"[٣١٧].

وتعليقاً على تجدد العمليات الإرهابية الصهيونية ضد البريطانيين في فلسطين[٣١٨]، شدد بيان العصبة على الطبيعة التعاونية الوثيقة لعلاقة الصهاينة بالاستعمار، مكرراً بخصوص العمليات نفس رأيها السابق، وهو أنها لا تستهدف سوى "تبرير حشد القوات البريطانية في فلسطين بحجة المحافظة على الأمن"[٣١٩].

لنا أكثر من ملاحظة على هذا البيان؛ فمن ناحية يتجاهل التحليل الوارد فيه مجدداً الأسباب الموضوعية للتباينات بين الإنجليز والصهاينة آنذاك، وفي هذا السياق ربما كان تجدد العمليات الصهيونية في ذلك التوقيت بالذات ــ على مستوى معين ــ محاولة للضغط على لجنة التحقيق الأنجلو أمريكية[٣٢٠]، بما يضمن أن تعكس توصياتها المنتظرة الانحياز الأمريكي لتعظيم الوجود الصهيوني في فلسطين لا القلق البريطاني من تداعيات ذلك على العرب وعلى المصالح البريطانية في المنطقة.

ومن ناحية أخرى، يلفت نظرنا تكرار نشر الفجر الجديد بيانات عصبة مكافحة الصهيونية في العراق ــ وهي تكوين يهودي منبثق عن الحزب الشيوعي العراقي كما أسلفنا ــ ولا شك أن هذا كان بسبب هاجس القائمين على المجلة ورغبتهم الدائمة في تأكيد وطنية اليهود العرب ونفي أي بعد عنصري أو ديني للصراع ضد الصهيونية، خاصة في ظل تصاعد الاحتقان ضد اليهود في بعض البلاد العربية في تلك الفترة.

***

في إطار دعمها للقضية الفلسطينية، استمرت الفجر الجديد في توعية قرائها بحقائق الصهيونية، فنشرت مقتطفات من رسالة وصلتها بإمضاء "فلسطيني"، أوضح كاتبها أنه دُعي لحضور محاضرة عن أوضاع

---

(316) Stevens, op.cit, pp.115 – 116.

(٣١٧) الفجر الجديد، مج٢، ع٢٨، ٣ إبريل ١٩٤٦، يهود العراق يقاطعون لجنة التحقيق "الهيئة المؤسسة لعصبة مكافحة الصهيونية"، ص٦٠٦.

(318) Cohen, op.cit, p.78.

(٣١٩) الفجر الجديد، مج٢، ع٢٨، ٣ إبريل ١٩٤٦، يهود العراق يقاطعون لجنة التحقيق "الهيئة المؤسسة لعصبة مكافحة الصهيونية"، ص٦٠٦.

(٣٢٠) أحمد طربين، مرجع سابق، ص٣٠٤.

فلسطين "في إحدى الجمعيات الثقافية الديموقراطية" ـ المقصود اليسارية ـ فهاله وقوع المحاضر في أخطاء كثيرة "يُخشى أن تكون نتيجة لدعاية صهيونية"، وبعد ذلك أكد صاحب الرسالة أن أغلب يهود فلسطين يعيشون على نهج شبيه "بالنظام الاشتراكي الوطني" ـ أي النازي ـ ويخضعون "للآراء العنصرية التي تبثها دائرة المعارف اليهودية ـ وهي الهيئة الثقافية التابعة للصهيونيين وبعض الرأسماليين الإنجليز ـ وقد كان للنشاط الصهيوني والدعاية العدائية أثرهما البارز، فلم ينضم يهودي واحد إلى عصبة التحرر الوطني وهي الحزب الديموقراطي في فلسطين، ثم أن الوكالة اليهودية هي بعينها التي أسست الهستدروت ـ المنظمة العمالية اليهودية، االتي تحاول جاهدة أن توجه العمال اليهود وجهة خاطئة"[٣٢١].

بعد هذه الإشارة السريعة لأوضاع اليهود في فلسطين، انتقدت الرسالة موقف المحاضرة المشار إليها الداعم للهستدروت، مؤكدة أن ليس ثمة "عربياً ديموقراطياً واحداً" يوافق المحاضر في رأيه هذا، وفي لمحة مهمة أسف صاحب الرسالة لوقوع المحاضر "في خطأ نظري جسيم" بفصله الموقف من الهجرة اليهودية عن الموقف من الصهيونية "في حين أن نضال العرب يجب أن يتجه ضد الاستعمار والصهيونية والهجرة سواء بسواء"[٣٢٢].

وفي النهاية، انتقدت الرسالة رأي المحاضر القاضي بأن ثمة طبقة بورجوازية في فلسطين تداخلت مصالحها مع الاستعمار، معتبرة هذا تحليلاً خاطئاً لحالة المجتمع الفلسطيني "فلم يحدث أن تحولت حركة الطبقة البرجوازية العربية ـ هناك ـ إلى أحضان الاستغلال الاستعماري، وإنما هي كادت أن تبتدئ في بعض أجزائها"[٣٢٣].

يعكس نشر الفجر الجديد لهذه الرسالة استمرار اهتمامها بتصويب المفاهيم الرئيسية للصراع في فلسطين في أذهان اليساريين المصريين والعرب، كما قد يعكس أيضاً استمرار تباين رؤيتها مع رؤى القوى اليسارية الأخرى في مصر حول بعض القضايا المرتبطة بهذا الصراع[٣٢٤]، وعلى هذا الصعيد ربما انطوت الرسالة على تصويب لالتباس أساسي في رؤية الفجر الجديد نفسها، وذلك بمساواتها الصارمة

---

(٣٢١) الفجر الجديد، مج٢، ع٢٩، ١٠ إبريل ١٩٤٦، رسالة إلى رئيس التحرير ـ قضية فلسطين، ص٦٣٥.

(٣٢٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣٢٣) نفس المصدر والصفحة.

(324) Beinin, op.cit, p.58.

من حيث الأهمية بين الاستعمار والصهيونية كعدوين مركزيين للنضال العربي.

ومن ناحية أخرى، يلفت نظرنا رفض الرسالة مقولة تداخل مصالح البرجوازية العربية في فلسطين مع الاستعمار وتأكيدها الوضعية الناشئة والبدائية لهذه البرجوازية، وفي هذا دفاع ضمني عن "اللجنة العربية العليا" في ظل الوعي بأنها تمثل ــ بصورة ما ــ قيادة "برجوازية" للطموحات الوطنية الفلسطينية، ويعكس هذا تأثراً بموقف عصبة التحرر الوطني التي غَلّبت لمرحلة معينة مبدأ الوحدة الوطنية ولم تبد حرجاً في دعم اللجنة رغم تحفظاتها على تشكيلها[٣٢٥].

ورغم ما ظهر في الرسالة السابقة من وعي في رفض دور الهستدروت ونقد طروحات الداعمين له، فقد استمر مهيمناً على خطاب الفجر الجديد أحياناً الالتباس الطبقي الذي يراهن على احتمالات التعاون بين الطبقات الكادحة العربية واليهودية في فلسطين؛ ومن هنا فقد رحبت المجلة بقوة بالإضراب العام الذي قام به الموظفون العرب واليهود هناك في إبريل ١٩٤٦ ضد سلطات الانتداب مطالبين بزيادة رواتبهم بسبب ارتفاع تكاليف المعيشة[٣٢٦]، فاعتبر أنور عبد الملك أن "الكفاح المشترك للجماهير العربية واليهودية ضد المستعمر البريطاني هو الحجر الأساسي لحل مشكلة فلسطين، ومما يبشر بإمكانية هذا الكفاح ذلك الإضراب العظيم الذي يشمل الآن خمسين ألف موظف من موظفي الحكومة عرباً ويهوداً، وذلك بالرغم من أن الموظفين أقل تضامناً من العمال مثلاً وأكثر تضارباً من حيث المصالح الشخصية، فإلى الكفاح المشترك صفاً واحداً ضد المستعمر البريطاني وأذنابه اليهود والعرب"[٣٢٧].

بشكل ما، كان دعم الفجر الجديد لهذا الإضراب نابعاً من الدور الكبير الذي قامت به عصبة التحرر الوطني ومؤتمر العمال العرب المقرب منها في قيادته[٣٢٨]، ولعلنا يجب أن نعيد التأكيد على ما أوضحناه سابقاً من خطأ وسذاجة المنظور الطبقي المطروح هنا، لأنه يتجاهل مجدداً الأبعاد الإيديولوجية والجيوبوليتيكية للصراع في فلسطين، وهو ما يصل إلى حد اعتبار الاستعمار البريطاني وحده هو المشكلة، مهملاً بشكل تام هيمنة

---

[٣٢٥] راجع: شئون فلسطينية، تشرين الثاني "نوفمبر" ١٩٨٠، عصبة التحرر الوطني والمسألة القومية العربية في فلسطين ١٩٤٣ ــ ١٩٤٨ "ماهر الشريف"، ص٧٨.

[٣٢٦] راجع حول الإضراب: هنري لورنس، مرجع سابق، ص٤٠٢.

[٣٢٧] الفجر الجديد، مج٢، ع٣١، ٢٤ إبريل ١٩٤٦، حركة العالم في أسبوع "أنور عبد الملك"، ص٦٨١.

[٣٢٨] شئون فلسطينية، تشرين الثاني "نوفمبر" ١٩٨٠، عصبة التحرر الوطني والمسألة القومية العربية في فلسطين ١٩٤٣ ــ ١٩٤٨ "ماهر الشريف"، ص٨٣.

الصهيونية على وعي قطاعات واسعة من اليهود هناك بكافة فئاتهم وطبقاتهم، ومهملاً كذلك الصلة العضوية بين الاستعمار البريطاني والوجود اليهودي في فلسطين من الأصل.

ولاستيعاب طبيعة الالتباس المتكرر الذي عاني منه تحليل الفجر الجديد الطبقي لقضية فلسطين، يجب ملاحظة أن وجود العمال والموظفين اليهود الكادحين في فلسطين كان أمراً يحمل بذاته تناقضاً بنيوياً أساسياً؛ فهؤلاء هاجروا إلى فلسطين أصلاً على خلفية الحماس للمشروع الصهيوني، ثم تحولوا في فلسطين نفسها إلى الشيوعية وتخلوا عن منطلقاتهم الصهيونية، وبينما كان المنطق الطبيعي في هذه الحالة يحتم على هؤلاء الخروج من فلسطين وتركها لأهلها، فإن إمكانات نضالهم الشيوعي ذاته ضد الحركة الصهيونية دفعتهم ــ بدلاً من ذلك ــ إلى البقاء هناك والانضواء في صفوف الحركة الشيوعية المحلية، وهكذا لعبت هذه الحركة دون أن تقصد دور "معسكر العبور" لهؤلاء الكادحين الرافضين للصهيونية إلى خدمة المشروع الصهيوني ــ ضمنياً ــ من جديد[٣٢٩].

***

كان من المنتظر أن يصدر تقرير اللجنة الأنجلو أمريكية حول فلسطين في لندن وواشنطون بشكل متزامن في أول مايو ١٩٤٦، إلا أن وزير الخارجية البريطاني بيفن طلب من نظيره الأمريكي جيمس بيرنز تأجيل نشر التقرير مبدياً استعداد حكومته لاستقبال ١٠٠ ألف لاجئ يهودي في فلسطين لكن ليس بشكل فوري، كما شكا بيفن من أن اليهود يهربون إلى هناك أسلحة اشتروها بأموال أمريكية مطالباً بتعاون الولايات المتحدة للجم الأساليب "العدوانية" التي تتبعها الوكالة اليهودية ضد الوجود البريطاني، وفي حديثه مع بيرنز ألمح بيفن إلى أن بريطانيا قد تفكر في الانسحاب من فلسطين كلياً إذا استمر تحميلها وحدها عبء السيطرة على فلسطين، ما قد يؤدي إلى تغلغل سوفيتي في الشرق الأوسط[٣٣٠]، ورغم هذا الضغط البريطاني رفض ترومان تأجيل نشر التقرير، فأعلن في لندن وواشنطون في أواخر إبريل ١٩٤٦[٣٣١].

---

[٣٢٩] راجع: لقاء مع القيادي اليهودي في الحزب الشيوعي الفلسطيني في العشرينيات والثلاثينيات جوزيف بيرجر، ضمن: موسى البديري، مرجع سابق، ص٤٦ ــ ٤٧.

[330] *Memorandum of conversation, by the director of the office of European affairs* (*Matthews*), Paris, April 27, 1946, in: FRUS, 1946, vol.vii, op.cit, ebook.

[٣٣١] أحمد عبد الرحيم مصطفى، مرجع سابق، ص٢٧ ــ ٢٨.

وقد ظهر في التقرير تجاهل سياسة الكتاب الأبيض بشكل تام، حيث احتوى على عشر توصيات تلبي في معظمها مطالب اليهود؛ وكان أهم ما ورد فيه ـ استجابة لضغوط ترومان ـ التوصية بإصدار مائة ألف شهادة هجرة لإدخال اليهود المشردين في معسكرات أوربا إلى فلسطين بأسرع ما يمكن، بل طالبت اللجنة العرب بإعادة النظر في موقفهم الرافض لدخول اليهود وتقدير الاعتبارات "الإنسانية" التي تدفع إلى استيعابهم في فلسطين، وخلافاً للمائة ألف مهاجر الذين أوصى التقرير باستيعابهم كعلاج سريع فقد طلب من حكومة الانتداب تسهيل الهجرة اليهودية "مع ضمان حقوق الطوائف الأخرى" في فلسطين، فضلاً عن إلغاء قوانين تقييد انتقال الأراضي ووضع نظم تسهل عمليات البيع والتأجير بصرف النظر عن العرق والطائفة، كما أوضحت اللجنة أن فلسطين لا ينبغي أن تكون دولة عربية ولا يهودية بل يجب استمرارها تحت الانتداب وانتقالها بعد ذلك إلى وصاية الأمم المتحدة حتى يختفي العداء بين الطرفين المتنازعين، وفي النهاية تحدث التقرير عن ضرورة إتاحة فرص التقدم السياسي والاقتصادي للعرب بما يتساوى مع الجماعة اليهودية، وكذلك ضرورة إصلاح نظام التعليم لكل من اليهود والعرب وضمان التعليم الإلزامي للطرفين[٣٣٢]، وكانت هذه التوصيات الأخيرة تتردد كثيراً في تقارير اللجان السابقة ثم تذهب مع الريح[٣٣٣].

وفور صدور التقرير، أبدى ترومان سعادته بتأييد اللجنة الأنجلو أمريكية مطلبه بإدخال ١٠٠ ألف يهودي إلى فلسطين، وبتوجهها عملياً لإلغاء الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ بما يحمله من قيود على الهجرة اليهودية وعلى استحواذ اليهود على الأراضي هناك، لكنه تجاهل رغبة بريطانيا في العمل المشترك في ذلك البلد، كما تجاهل التوصيات التي لا تخدم الصهاينة بحجة حاجتها إلى مزيد من الدراسة[٣٣٤]، وقد أثار هذا التعامل الانتقائي مع التقرير سخط بريطانيا؛ فأرسل بيفن على الفور رسالة احتجاج إلى واشنطون، كما انتقد آتلي بعنف دعم ترومان التوصيات المؤيدة للصهاينة دون غيرها، وأعلن في أول مايو ١٩٤٦ في مجلس العموم البريطاني أن الحكومة البريطانية لا تود أن تتحمل الالتزامات الضخمة الواردة في تقرير اللجنة وحدها، وهي لذلك تريد أن تتأكد إلى أي حد ستكون الولايات المتحدة

---

(332) The acting secretary of state to certain American diplomatic and consular officers, April 25, 1946, in: FRUS, 1946, vol.vii, op.cit, ebook.

(٣٣٣) دروزة، القضية الفلسطينية، ج٢، ص٥٠.

(334)The acting secretary of state to the secretary of state, at Paris, April 30, 1946, in: FRUS, 1946, vol.vii, op.cit, ebook.

مستعدة للمشاركة في تحمل المسئوليات العسكرية والمالية الإضافية، كما أن من غير الممكن قبول ١٠٠ ألف مهاجر يهودي جديد في فلسطين قبل حل "الجيوش اليهودية غير الشرعية" وتسليم سلاحها وضمان تعاون الوكالة اليهودية واتخاذها موقفاً إيجابياً في قمع الهجمات العنيفة ضد أرواح البريطانيين ومنشآتهم(٣٣٥).

وبالطبع لم يكن هذا الامتعاض البريطاني الظاهر حرصاً على حقوق فلسطين وشعبها، بل كان خشية من انتفاض الرأي العام العربي وما يمكن أن يُلحقه ذلك من ضرر بمصالح بريطانيا في المنطقة، خاصة مع ما أثاره صدور التقرير من غضب عربي واسع؛ حيث انتقد الأمين العام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام توصيات اللجنة مبرزاً تأثيرها السيئ على مستقبل العلاقات العربية البريطانية، كما أكد أن التوصية بإدخال ١٠٠ ألف يهودي إلى فلسطين تحظي بمعارضة مطلقة من كل العرب(٣٣٦)، أما في فلسطين نفسها فقد دعت اللجنة العربية العليا إلى الإضراب العام في الثالث من مايو ١٩٤٦(٣٣٧) وأخذت ترسل برقيات الاحتجاج، وحذت سوريا وشرق الأردن ولبنان والعراق حذوها في الإضراب والتظاهر احتجاجاً، كما تناولت برلماناتها القضية وأوعزت حكوماتها إلى سفرائها في واشنطون ولندن بالاحتجاج المشترك(٣٣٨).

وقد كان رد الفعل على صدور التقرير في مصر أيضاً مقلقاً إلى حد ما؛ حيث حظيت توصياته المتحيزة بمعارضة ظاهرة من الرأي العام المصري(٣٣٩)، كانت ملحوظة حتى من مصدريه أنفسهم(٣٤٠).

وفي هذه الأجواء الغاضبة، نشرت هيئة تحرير الفجر الجديد مقالاً موسعاً غير موقع تضمن رأيها في التقرير، فأوضحت في البداية أن اللجنة الأنجلو أمريكية تمثل أكبر بلدين استعماريين في العالم الرأسمالي، وهما بلدان "يؤيدان الصهيونية تأييداً فعالاً ويعارضان استقلال فلسطين معارضة

---

(335) Kirk, The Middle East 1945 – 1950, pp.215 – 216.

(336) The Manchester Guardian, May 1, 1946, Arab and Jewish comment on Palestine report.

(337) *The consul general at Jerusalem* (*Pinkerton*) *to the secretary of state,* May 2, 1946, in: FRUS, 1946, vol.vii, op.cit, ebook.

(٣٣٨) دروزة، القضية الفلسطينية، ج٢، ص٥١.

(٣٣٩) راجع مثلاً: محمود عوض، وعليكم السلام: مصر وإسرائيل والعرب ـ الجذور والمستقبل، دار المستقبل العربي ـ القاهرة، ١٩٨٦، ص١١٤ ـ ١١٥.

(340) The minister of Egypy (Tuck) to the secretary of state, Cairo, May 3, 1946, in: FRUS, 1946, vol.vii, op.cit, ebook.

قوية"، إن بريطانيا هي من وعدت اليهود بفلسطين أصلاً، أما الولايات المتحدة فموقفها واضح من خلال مطالبتها "بهجرة صهيونية متدفقة"، وعلى هذا فإن كلا الاستعمارين الأمريكي والإنجليزي "طرف من طرفي النزاع في فلسطين" في مواجهة الطرف الآخر وهو "الحركة الوطنية العربية"، ومن هنا كان حتماً أن تصدر لجنة التحقيق تقريرها هذا "الذي يؤيد الاستعمار ويطالب بإبقاء سيطرته على فلسطين وباستمرار حكم الانتداب"(٣٤١).

بعد هذا التشخيص السليم للصراع، وفي الإطار التفسيري ذاته، أكد المقال أن من المهم بالنسبة للاستعمار البريطاني أن يحتفظ بقوات كبيرة في فلسطين يستطيع الانقضاض بها على الأقطار العربية المجاورة، خاصة في ضوء صعود الحركات التحررية في المنطقة، كما أن بريطانيا والولايات المتحدة تريان في فلسطين قاعدة ضرورية تستطيعان تركيز قواتهما فيها للانقضاض على الاتحاد السوفيتي من الشرق(٣٤٢).

فيما سبق، تُظهر الفجر الجديد وعياً مستجداً بالأساس الجيوبوليتيكي للصراع، لكنها لم تلبث مع ذلك أن وقعت مجدداً في خطأها المتكرر وهو التهوين من خطورة الصهيونية، حين اعتبرت أن لجنة التحقيق أرادت بتقريرها تحويل أنظار العرب عن مكافحة الاستعمار البريطاني كهدف رئيسي، إلى النضال ضد "مسائل ثانوية مثل الهجرة الصهيونية إلى فلسطين، حتى تتحول الحركة العربية من حركة وطنية إلى حركة عنصرية دينية مصيرها الفشل المحتوم"، وحتى تنشب الاضطرابات الدينية والعنصرية بين الشعب العربي "وبين الكادحين اليهود في فلسطين"(٣٤٣).

هنا، يسيطر الالتباس الأممي الرومانسي بقسوة على وعي الفجر الجديد مجدداً، متمثلاً في استمرار النظر للقضية الفلسطينية كنضال طبقي بالأساس لا ينبغي أن يتصارع فيه الكادحون من الطرفين، وعلى مستوى آخر يبدو هنا تعاظم تخوف مؤسسي الفجر الجديد اليهود الشبان من احتمالات اتخاذ الصراع في فلسطين شكلاً دينياً عنصرياً بما يقصي اليهود العرب ويعرضهم للخطر، ولعل هذا الهاجس بالتحديد كان الأكثر تأثيراً في إيقاع تحليل الفجر للصراع عموماً ــ رغم وطنية وتقدم موقفها من نواح كثيرة ــ في أخطاء وتشوشات ظاهرة، كان جوهرها عدم الانتباه ــ مرة

(٣٤١) الفجر الجديد، مج٢، ع٣٣، ٧ مايو ١٩٤٦، تقرير لجنة التحقيق مواصلة لمجهودات الاستعمار ضد بلادنا العربية، ص٧٢٦.
(٣٤٢) نفس المصدر والصفحة.
(٣٤٣) نفسه، ص٧٢٦ ــ ٧٢٧.

أخرى ـ لخطورة الإيديولوجيا الصهيونية وهيمنتها القوية على وعي أغلب اليهود في فلسطين.

بعد ذلك، انتقل المقال إلى مسألة أخرى؛ فانتقد مجدداً مواقف الساسة الرسميين العرب والجامعة العربية التي رحبت بلجنة التحقيق عند قدومها على قاعدة "الصداقة التقليدية" بين بريطانيا وأمريكا وبين العرب، متسائلاً بسخرية بعد صدور التقرير وتوصياته المجحفة عن "موقف هؤلاء السادة الذين تشبثوا بصداقة بريطانيا وأمريكا الاستعماريتين للشعوب العربية المستعبدة"، وفي مقابل هذا السلوك الرسمي المتخاذل أبدت الفجر الجديد دعمها الكامل "للموقف الوطني الصحيح بمقاطعة اللجنة" الذي اتخذته عصبة التحرر الوطني في فلسطين وسواها من "القوى الوطنية العربية"، مشددة على أن التحقيق كان مجرد "مناورة استعمارية" لا هدف لها سوى "تحويل الحركة الوطنية العربية عن أهدافها"[٣٤٤].

هنا، انتبهت الفجر الجديد في لحظة مبكرة من تاريخ القضية الفلسطينية لمسألة مهمة صارت بعد ذلك معضلة تقليدية مزمنة، وهي ذلك الإحساس العميق والمتجذر في الوعي العربي بانفصال موقف النخب الحاكمة عن النبض الشعبي الحقيقي للجماهير سواء فيما يتعلق بفلسطين أو بغيرها من قضايا العرب، وهو ما يفتح الباب لأسئلة أعمق حول مدى شرعية هذه النخب ومصداقية تمثيلها لجماهيرها تاريخياً.

بعد هذا المقال الذي تضمن خلاصة رؤيتها لتقرير لجنة التحقيق، وفي ضوء تصاعد الغضب ضده على امتداد العالم العربي[٣٤٥]، كثفت الفجر الجديد عملها في مواجهته بوسيلة أخرى، فبدأت في نشر البيانات والكلمات التي صدرت عن بعض القوى السياسية والثقافية احتجاجاً عليه؛ ومن ذلك بيان "اللجنة المركزية لرابطة المثقفين العرب" في فلسطين ـ وهي مرتبطة بعصبة التحرر الوطني[٣٤٦] ـ الذي لفت الانتباه إلى ما اعتبره محاولات من قبل البعض للتهوين من شأن التقرير وتهدئة الجمهور عبر إشاعة الأمل بألا يتم تنفيذ ما ورد فيه من توصيات ظالمة، محذراً من خطورة "ذلك التلويح السام الذي يحاول بعض صنائع الاستعمار ترويجه، لأنهم يقصدون به إعادة الثقة بالاستعمار والأمل في عدالته"[٣٤٧].

---

[٣٤٤] نفسه، ص٧٢٧.

[٣٤٥] محمد نصر مهنا، مشكلة فلسطين أمام الرأي العام العالمي ١٩٤٥ ـ ١٩٦٧، دار المعارف، ١٩٧٩، ص٧٨.

[٣٤٦] موسى البديري، مرجع سابق، ص١٢٣.

[٣٤٧] الفجر الجديد، مج٢، ع٣٤، ١٥ مايو ١٩٤٦، الاستقلال هو الحل الوحيد: لا ثقة ولا أمل بالاستعمار "بيان من اللجنة المركزية لرابطة المثقفين العرب"، ص٧٣٩.

وقد جاء هذا التحذير الملئ بالتوجس وعدم الثقة، كرد فعل على بعض التقارير المتداولة في تلك الأيام الملتهبة، والتي أبرزت أمل الأمين العام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام في ألا تقدم بريطانيا على تطبيق توصيات لجنة التحقيق، لما قد يثيره ذلك من أزمة شديدة لها في البلاد العربية[٣٤٨].

وفي مواجهة هذا المناخ، اقترح البيان عقد مؤتمر فلسطيني موسع يضع برنامجاً "للجهاد" من أجل الاستقلال، مطالباً الشعب الفلسطيني وقيادته بمقاطعة البضائع الإنجليزية والأمريكية، إعلان العصيان المدني في البلاد ووضع خطة لتنفيذه، ورفع القضية إلى منظمة الأمم المتحدة[٣٤٩].

أما في مصر نفسها، فقد تابعت الفجر الجديد باهتمام مجريات الإضراب التضامني مع شعب فلسطين في يوم الجمعة ١٠ مايو ١٩٤٦، ونشرت كلمة ذراعها السياسي "لجنة العمال للتحرير القومي" التي أُلقيت ضمن فعالياته[٣٥٠]، وقد أكدت الكلمة استنكار عمال مصر "تقرير اللجنة الاستعمارية البريطانية الأمريكية عن قضية فلسطين"[٣٥١].

وفي البداية، أوضحت الكلمة أن السياسة الاستعمارية ضد حرية شعب فلسطين ليست جديدة، بل هي موجودة منذ "أخذ المستعمر يطبق أساليبه ـ التي لم تعد خافية على أحد ـ من تقوية روح العنصرية والتفريق بين الأجناس، وأخذ يشجع الصهيونية من ناحية ويبذل الوعود للعرب من ناحية أخرى حتى يوسع شقة الخلاف ويفرق لكي يسود"[٣٥٢].

---

[٣٤٨] عصام الغريب، مرجع سابق، ص٢٨٤؛ وقد نقلت صحيفة الأهرام عن بعض "الدوائر الدبلوماسية في لندن" أن بريطانيا سترفض اتخاذ أية خطوة فيما يتعلق بتوصيات لجنة التحقيق إلا إذا وافقت الولايات المتحدة على مساعدتها بالمال والجنود، مبدية قناعتها بأن اقتراحات اللجنة ستوضع "على الرف" إلى أن تتمكن بريطانيا من تسليم انتدابها على فلسطين إلى هيئة الأمم المتحدة لتحويله إلى وصاية؛ راجع: الأهرام، ٧ مايو ١٩٤٦، بعد تقرير لجنة التحقيق: بريطانيا ترفض تنفيذ توصيات اللجنة إلا إذا ساعدتها أمريكا بالمال والرجال.

[٣٤٩] الفجر الجديد، مج٢، ع٣٤، ١٥ مايو ١٩٤٦، الاستقلال هو الحل الوحيد: لا ثقة ولا أمل بالاستعمار "بيان من اللجنة المركزية لرابطة المثقفين العرب"، ص٧٣٩.

[٣٥٠] راجع حول هذا الإضراب: الأهرام، ١٢ مايو ١٩٤٦، التضامن مع فلسطين ـ الإضراب في مصر؛ وقد نص برنامج لجنة العمال للتحرير القومي بوضوح على "مكافحة الصهيونية وتأييد الشعب الفلسطيني في نضاله الوطني الديموقراطي"؛ راجع برنامج اللجنة في: عاصم الدسوقي وآخران "تحرير"، وثائق الحركة الشيوعية المصرية ١٩٤٤ ـ ١٩٥٢، مصدر سابق، ص١٣ ـ ٢٦.

[٣٥١] الفجر الجديد، مج٢، ع٣٤، ١٥ مايو ١٩٤٦، كلمة لجنة العمال للتحرير القومي في يوم فلسطين "محمود حمزة"، ص٧٤٢.

[٣٥٢] نفس المصدر والصفحة.

يُعد هذا الطرح نموذجاً جديداً للوعي الملتبس لدى مجموعة الفجر الجديد في مسألة الصهيونية؛ فرغم أنها كانت تعاديها بصرامة إلا أنها بذات الوقت كانت تهون من خطرها، كما أنها ـ في بعض الأحيان ـ تعاملت مع الوجود اليهودي في فلسطين كوجود "طبيعي" مكافئ للوجود العربي، ملقية تبعة العداء والصراع هناك على عاتق الاستعمار البريطاني وحده، واستناداً إلى هذا الالتباس المتكرر فإننا لا نتفق مع رؤية الأستاذ جويل بينن الذي اعتبر أن الماركسيين المصريين قد تبنوا وجهة النظر القائلة بأن التوترات بين العرب واليهود في فلسطين كانت تكتيكاً مدبراً من قبل الإمبرياليين البريطانيين وأن أي تناقضات بين "الشعبين" يمكن حلها باتحادهما ضد العدو الإمبريالي المشترك منذ العام ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ فحسب[٣٥٣]، ونؤكد على أن تلك الأطروحة كانت سابقة على ذلك وحاضرة بقوة ـ كما ظهر لنا مراراً ـ على امتداد تجربة الفجر الجديد.

ولعل من الممكن القول، أن هذا التصور الخطير قد ارتكز ـ ولو جزئياً ـ على رؤية عصبة التحرر الوطني الفلسطينية الصديقة للفجر الجديد، التي تبنت ـ رغم عدائها للهجرة اليهودية ـ مبدأ التمييز بين الصهيونية وبين عموم السكان اليهود في فلسطين[٣٥٤]، وأكدت ارتباط مصلحة الجماهير اليهودية هناك بانتصار نضال الشعب الفلسطيني ضد الإمبريالية والصهيونية[٣٥٥].

ورغم هذا الالتباس المزمن، سرعان ماعادت كلمة لجنة العمال للتحرير القومي لتؤكد ـ في مواجهة تقرير اللجنة الأنجلو أمريكية ـ وجوب التمسك "بالحل الطبيعي" لمشكلة فلسطين، الذي يتلخص في "إنهاء الاستعمار ومحاربة الصهيونية باعتبارها من النظم الفاشية"، مبدية استغرابها من حسن نية زعماء العرب إلى درجة أنهم قبلوا الاحتكام إلى لجنة يكونها المستعمر واعتبروا أنها يمكن أن تكفل "رد حقوقهم المغتصبة وإحياء آمالهم الضائعة"، فضيعوا بذلك وقتهم وجهدهم وكانت النتيجة في النهاية "زيادة القضية تعقيداً وزيادة النفوذ الاستعماري تغلغلاً، وزيادة العنصر الصهيوني الفاشي عدداً وإباحة الهجرة لعدد جديد منهم"[٣٥٦].

واستمراراً في إبراز سخط الشارع المصري على مندرجات تقرير اللجنة الأنجلو أمريكية، لجأت الفجر الجديد في العدد ذاته إلى تكنيك جديد

---

(353) Beinin, op.cit, p.7.

(354) Ibid, p.43.

(٣٥٥) راجع: شئون فلسطينية، تشرين الثاني "نوفمبر" ١٩٨٠، عصبة التحرر الوطني والمسألة القومية العربية في فلسطين ١٩٤٣ ـ ١٩٤٨ "ماهر الشريف"، ص٨٢.

(٣٥٦) الفجر الجديد، مج٢، ع٣٤، ١٥ مايو ١٩٤٦، كلمة لجنة العمال للتحرير القومي في يوم فلسطين "محمود حمزة"، ص٧٤٢.

وهو إتاحة المجال لنشر برقيات وردتها من فئات مصرية شعبية تحتج على ما ورد فيه من توصيات وتطالب بعدم تطبيقها، وفي تقديمها للبرقيات أكدت الفجر أن هذه الاحتجاجات تنبع من صميم الشعب، إنها "أصوات العمال وصغار التجار والمواطنين المخلصين تندفع ثائرة صاخبة في وجه الاستعمار الغاشم الظالم الذي يريد أن يوقع البلاد العربية في حبائله الأبدية"[٣٥٧].

وقد كان نشر هذه البرقيات ـ بمعنى ما ـ تعبيراً جديداً عن تعاظم اهتمام المصريين بقضية فلسطين في تلك اللحظة الحساسة، ولعل هذه القضية بالذات كانت بوابة قطاعات من الرأي العام المصري للخروج من عزلتها وتمحورها حول القضايا التقليدية للنضال المصري باتجاه إدراك عروبتها والانطلاق نحو التفاعل مع القضايا العربية.

***

بعد إعلان تقرير لجنة التحقيق الأنجلو أمريكية، توافقت الحكومتان الإنجليزية والأمريكية على مطالبة الزعماء العرب ـ وقادة العرب واليهود في فلسطين أيضاً ـ بإبداء الرأي في التقرير خلال شهر[٣٥٨].

وتأسيسا على موقفها الذي مال سابقاً لمقاطعة اللجنة، نشرت الفجر الجديد برقية من الدكتور خليل البديري عضو اللجنة العربية العليا بفلسطين ـ والقريب من أوساط "عصبة التحرر الوطني" وإن لم يكن عضواً بها[٣٥٩] ـ حول كيفية التعامل مع هذا التطور المستجد من جانب الوطنيين العرب، وفي تقديمها للبرقية استحضرت الفجر جوهر خطاب العصبة الفلسطينية الشقيقة لها؛ فاعتبرت عمل لجنة التحقيق مجرد "مسرحية استعمارية جائرة"، لتحذر بعد ذلك بلهجة استنكار واضح "ها نحن أولاء نقرأ أن الزعماء العرب سيُطلب إليهم الإدلاء برأيهم في اللجنة المشئومة وتقريرها، وليس هناك من شك ـ في ـ أن هذه مؤامرة جديدة ولعبة أخرى يراد بها الاستمرار في نفس الطريق الذي انجلى عن التحقيق، لذلك نحن نهيب

---

[٣٥٧] الفجر الجديد، مج٢، ع٣٤، ١٥ مايو ١٩٤٦، أهالي بولاق والموسكي والحنفي يحتجون على قرار لجنة التحقيق، ص٧٤٤؛ وراجع أيضاً: الفجر الجديد، مج٢، ع٣٤، ١٥ مايو ١٩٤٦، وفد من أهالي الأزهر والحلمية والدرب الأحمر يؤيدون فلسطين حرة مستقلة، ص٧٤٩.

[358] *The Manchester Guardian, May 21, 1946,* Another step on Palestine: Arabs and Jews asked for their views within a month.

[٣٥٩] موسى البديري، مرجع سابق، ص١٢٣.

بالوطنيين العرب أينما كانوا أن يتمسكوا بالخطة السليمة الوحيدة: خطة العمل من أجل فلسطين مستقلة ذات حكومة ديموقراطية"[٣٦٠].

أما رسالة البديري نفسها التي وجهها إلى الزعماء العرب، فقد تكررت فيها نفس المعاني؛ حيث أكد الرجل أن "طلب الحكومتين الإنجليزية والأمريكية رأيكم في نواحي اللجنة المشئومة مكيدة جديدة نناشدكم عدم الوقوع فيها"، لأن مأساة فلسطين "من صنع الاستعمار الإنجليزي والرأسمالية الأمريكية" بالذات، إن بقاء قوات الاحتلال والصهيونية في قلب البلاد العربية أمر يجب إنهاؤه، ولذا فالحل الوحيد هو "الاستقلال التام وتشكيل حكومة وطنية دستورية ديموقراطية في الحال وجلاء الجيوش الأجنبية" عن فلسطين[٣٦١].

وفي النهاية، عاد القيادي الفلسطيني إلى المطلب الذي شكل أملاً لكثيرين في تلك الفترة، فناشد الحكام العرب تأييد مسعى الفلسطينيين في "عرض المشكلة على هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن كنزاع بين العرب كفريق والاستعمار والصهيونية كفريق آخر"[٣٦٢].

وقد استمرت الفجر الجديد بعد ذلك ــ تعبيراً عن رؤيتها الخاصة من ناحية وتواؤماً مع توجه عصبة التحرر الوطني من ناحية أخرى ــ في تبني مطلب عرض قضية فلسطين على مجلس الأمن، وهو المطلب الذي ازدادت حدته بعد صدور تقرير اللجنة الأنجلو أمريكية[٣٦٣]، فنقلت عن مجلة "الاتحاد" التابعة للعصبة سلسلة تساؤلات ساخرة بهذا الخصوص "إن القادة التقليديين يخافون من مجلس الأمن ويخيفون الشعب منه، كيف يمكننا أن نخسر في مجلس الأمن أكثر مما خسرناه إلى الآن في علاقاتنا مع بريطانيا؟، هل من الممكن أن تسوء وضعية بلادنا إن تدخلت فيها دول ديموقراطية مثل الاتحاد السوفيتي وبولونيا؟، لقد رأينا سياسة بريطانيا وأمريكا وخبرنا عملياً أهدافهما الاستعمارية في بلادنا، فهل ستتغير الوضعية إن ذهبنا إلى مجلس الأمن حتى إن كانت بريطانيا أو أمريكا فيه سائدة؟"، لتختتم الاتحاد تساؤلاتها بالقول "يكفينا أن نفضح سياسة بريطانيا في مجلس الشعوب وأمام الشعوب، فإن ذلك سيضعف مركزها ويجعلها في ظرف لا يساعدها على تغيير سياستها"[٣٦٤].

---

(٣٦٠) الفجر الجديد، مج٢، ع٣٦، ٢٩ مايو ١٩٤٦، لتحيا فلسطين حرة ديموقراطية "الدكتور خليل البديري"، ص٧٨٨.

(٣٦١) نفس المصدر والصفحة.

(٣٦٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣٦٣) إميل توما، مصدر سابق، ص٣٠٤.

(٣٦٤) الفجر الجديد، مج٢، ع٣٨، ١٢ يونيه ١٩٤٦، فلسطين ومجلس الأمن "عن مقال لمجلة الاتحاد الغراء"، ص٨١٣.

يبدو ظاهراً هنا، أن مطلب التدويل والتوجه إلى مجلس الأمن كان ـ في فلسطين كما في مصر ـ محاولة لتجاوز الوضع السابق الذي يحصر القضية في العلاقة الثنائية مع المستعمر البريطاني، بالإضافة لكونه يتجاوز كذلك مأزق التعامل مع بريطانيا كوسيط نزيه بين العرب والصهاينة، وربما كان ما عزز الأمل بهذا الخصوص في تلك اللحظة نجاح سوريا ولبنان في نيل استقلالهما بعد عرض قضيتهما الوطنية على مجلس الأمن[٣٦٥]، وهو الأمر الذي كان له أثر كبير في تشكيل رؤية عصبة التحرر الوطني ـ وقطاع كبير من الحركة الوطنية الفلسطينية آنذاك ـ لدور المنظمة الدولية الناشئة[٣٦٦].

***

في أجواء الغضب العربي بعد صدور تقرير اللجنة الأنجلو أمريكية، اجتمع ملوك ورؤساء الدول العربية في "أنشاص" بمصر بمبادرة من الملك فاروق في أواخر مايو ١٩٤٦، وناقش المجتمعون الوضع في فلسطين وأبلغوا نتائج محادثاتهم إلى مجلس جامعة الدول العربية[٣٦٧]، الذي عقد اجتماعاً غير عادي في "بلودان" بسوريا في الفترة ٨ ـ ١٢ يونيو ١٩٤٦ للنظر في التقرير، اتخذ في نهايته قرارات عديدة كان من أهمها: نقد تحيز توصيات لجنة التحقيق، إعداد مذكرة من الجامعة ومن كل حكومة عربية على حده إلى الحكومتين الإنجليزية والأمريكية، طلب التفاوض مع الحكومة البريطانية لإنهاء "الحالة الراهنة" في فلسطين، عرض القضية على هيئة الأمم "إذا لم تنته المفاوضة مع بريطانيا إلى حل مرض"، رفض أي شكل من أشكال التقسيم كحل للقضية الفلسطينية، إنشاء "هيئة جديدة" لتمثيل فلسطين على أن تضطلع هذه الهيئة بمختلف شئون القضية من دعاية ومقاطعة وتنظيم وغير ذلك[٣٦٨].

وبعد الاجتماع، أكد الأمين العام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام أن أعضاء مجلس الجامعة قرروا بالإجماع بدء مفاوضات مع بريطانيا

---

[٣٦٥] حول خلفيات نجاح سوريا ولبنان في نيل الاستقلال بعد عرض قضيتيهما على مجلس الأمن راجع: صلاح العقاد، المشرق العربي المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة، ١٩٩٨، ص٥٧ ـ ٦٣.

[٣٦٦] موسى البديري، مرجع سابق، ص٢٥١.

[٣٦٧] راجع أهم مقررات هذه القمة في: صالح صائب الجبوري، محنة فلسطين وأسرارها السياسية والعسكرية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٤، ص١٢٣.

[٣٦٨] راجع أهم قرارات اجتماع بلودان في: جامعة الدول العربية، قرارات، مصدر سابق، ص٤٩ ـ ٥٤.

بصفتها الدولة المنتدبة على فلسطين من أجل تحديد وضعها في المستقبل، وأن الجامعة وجهت إلى الحكومة البريطانية مذكرة جماعية في هذا الشأن[٣٦٩].

وتعليقاً على قرارات اجتماع بلودان، كتب صادق سعد مقالاً تحليلياً رحب فيه بقرار الاجتماع عرض قضية فلسطين على الأمم المتحدة، وبتصريحات الأمين العام للجامعة العربية التي أكد فيها على ذلك المعطى الجديد[٣٧٠]، معتبراً أن أهمية هذا التطور تكمن في اتجاه الجامعة أخيراً إلى إخراج قضية فلسطين "من الدائرة الضيقة بين الشعب العربي الفلسطيني ومستعمريه الإنجليز إلى النطاق الدولي، حيث تستطيع أن تلقى تأييد جميع الشعوب المحبة للحرية والسلام وفي طليعتها الاتحاد السوفيتي"، وقد أكد سعد هنا أنه لو تمت هذه الخطوة فسوف تكون "الضربة الأولى للنطاق الفولاذي الذي يحاول الاستعمار البريطاني ان يضربه حول الشعوب العربية حتى يعزلها عن حليفاتها الطبيعية"[٣٧١].

وفي السياق الترحيبي ذاته بالقرار العربي، اعتبر سعد أن ما جعل هذه "الخطوة الإيجابية" ممكنة هو الإضرابات والمظاهرات الواسعة التي وقعت في العراق وفلسطين وسوريا ولبنان ومصر، وما عبرت عنه هذه التحركات من يقظة آخذة بالانتشار بين الشعوب العربية "أجبرت بعض العناصر الرجعية في الجامعة أن تتقهقر وتتنازل قليلاً عن صداقتها التقليدية لبريطانيا"[٣٧٢].

ورغم هذا الترحيب، انتقد الكاتب ما قرره الاجتماع من مفاوضة بريطانيا في مسألة فلسطين أولاً قبل عرضها على مجلس الأمن، واعتبر ذلك دليلاً على استمرار سيطرة "العقلية الرجعية" على بعض الساسة العرب، مؤكداً أن القرار يمثل "إغماضاً للعين عن لجان التحقيق السبعة عشر التي زارت فلسطين منذ ١٩١٩، وعن الوفود العربية المختلفة التي فاوضت الحكومة البريطانية في شأن قضية هذا البلد الشقيق"، لقد سعى العرب مراراً إلى التفاهم مع الحكومة البريطانية بشأن قضية فلسطين، ومع ذلك "استمرت هذه الحكومة في سياستها الاستعمارية التقليدية وتمسكت بتأييدها للغزو الصهيوني وتشبثت بحرمان عرب فلسطين من الحكم الديموقراطي الذي يطالبون به"، وهذا يجعل أي تفاوض جديد معها محض

---

(٣٦٩) محمد علي حلة، فلسطين في جامعة الدول العربية ١٩٤٥ ـ ١٩٦٧، دار الكتب والوثائق القومية ـ القاهرة، ٢٠١٥، ص١٤٤.

(٣٧٠) راجع: الأهرام، ١٢ يونيه ١٩٤٦، مسألتا فلسطين وطرابلس في مؤتمر بلودان.

(٣٧١) الفجر الجديد، مج٢، ع٣٩، ١٩ يونيه ١٩٤٦، حول اجتماع بلودان: إلى مجلس الأمن بقضيتنا وقضية فلسطين "صادق سعد"، ص٨٢٩ ـ ٨٣٠.

(٣٧٢) نفسه، ص٨٤٨.

"مماطلة وتسويف إضافي للقضية العربية"، الأمر الذي "لا يمكن أن يفيد العرب وإنما يفيد الاستعمارين الإنجليزي والأمريكي"؛ إذ يمكنهما من تحويل فلسطين "إلى مركز وثوب ضد الشعوب العربية"[٣٧٣].

لعل أهم ما ورد هنا، هو العودة للإشارة بوضوح إلى نية بريطانيا والولايات المتحدة استخدام المشروع الصهيوني في فلسطين كنقطة "وثوب ضد الشعوب العربية"، وهو ما يعني اكتمال تبلور وعي الفجر الجديد استراتيجياً بالدور الوظيفي الأساسي لهذا المشروع كقاعدة سياسية وعسكرية متقدمة للمصالح الإمبريالية الغربية في المنطقة[٣٧٤].

وفي هذا المقال، ناقش صادق سعد كذلك قرار الجامعة العربية باستحداث هيئة جديدة لتمثيل الشعب الفلسطيني في ضوء الخلاف الذي تأجج آنذاك بين "عصبة التحرر الوطني" وبين رئيس "الحزب العربي" جمال الحسيني[٣٧٥]، وبنبرة منحازة تماماً لموقف العصبة لام الكاتب الجامعة على قرارها معتبراً إياه "تدخلاً سافراً" في شئون فلسطين يهدد

---

[٣٧٣] نفسه، ص٨٣٠.

[٣٧٤] حول الطبيعة الوظيفية للمشروع الصهيوني في خدمة المصالح الاستراتيجية للغرب في العالم العربي راجع: عبد الوهاب محمد المسيري، الأيديولوجية الصهيونية: دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة، القسم الأول، عالم المعرفة ـ الكويت، ١٩٨٢، ص١٤١ ـ ١٥٣.

[٣٧٥] منذ مارس ١٩٤٦، أكدت عصبة التحرر الوطني أن اللجنة العربية العليا قد باتت عاجزة عن تحمل مسئولية قيادة النضال الفلسطيني، ودعت إلى إقامة هيئة وطنية جديدة يشترك فيها ممثلو القوى الوطنية والتقدمية، وفي مواجهة هذا الموقف هاجم جمال الحسيني العصبة بعنف في ٢ يونيو ١٩٤٦ وأكد رفضه دخول مندوب عنها وعن "مؤتمر العمال العرب" إلى اللجنة العربية العليا، لأن العصبة ـ برأيه ـ تقبل "التعاون مع بن جوريون ومع الصهيونية" وتريد "اتحاد العرب واليهود"، فردت العصبة على ذلك في نفس اليوم ـ بالتعاون مع أحزاب الاستقلال والإصلاح والدفاع والكتلة الوطنية ومؤتمر الشباب ومؤتمر العمال العرب ـ بإقامة "الجبهة العربية العليا" في فلسطين، وإزاء هذا التطور تدخلت الجامعة العربية مجدداً في اجتماعها ببلودان ونجحت ضغوطها في دفع الأحزاب التي ساهمت مع العصبة في إقامة الجبهة العربية العليا للانسحاب منها والمشاركة مع الأحزاب التقليدية في إقامة تشكيل جديد باسم "الهيئة العربية العليا" استُبعد منه ممثلو العصبة وغيرها من القوى التقدمية، وهو ما دفع العصبة لتنظيم حملة تنديداً بوصاية الجامعة العربية على الحركة الوطنية الفلسطينية؛ راجع: شئون فلسطينية، تشرين الثاني "نوفمبر" ١٩٨٠، عصبة التحرر الوطني والمسألة القومية العربية في فلسطين ١٩٤٣ ـ ١٩٤٨ "ماهر الشريف"، ص٧٨ ـ ٨٠؛ وحول وجهة نظر عصبة التحرر الوطني في هذا الخلاف راجع: الفجر الجديد، مج٢، ع٣٩، ١٩ يونيه ١٩٤٦، بيان عصبة التحرر الوطني في فلسطين رداً على السيد جمال الحسيني "مكتب الرئاسة لعصبة التحرر الوطني"، ص٨٢٨.

الحركة الوطنية الفلسطينية "بالتحطيم والتصدع"، لأن الخلاف بين الحسيني ولجنته وبين الجبهة العربية وأحزابها هو خلاف جوهري وليس شكلياً "إن جمال الحسيني لا يريد عرض قضية فلسطين على مجلس الأمن ولا يريد أن تتشكل الهيئة العربية الفلسطينية على أساس شعبي ديموقراطي، إن سياسته تسير على الأسس التقليدية البالية التي سارت عليها اللجان العربية العليا إلى الآن والتي أخفقت إخفاقاً مجلجلاً وفشلت فشلاً ذريعاً، وبذلك فإن الجامعة العربية إذ تفرض إرادتها على الحركة الوطنية في فلسطين تبدو وكأنها تحاول تحطيمها، ولا يفيد من هذا أحد إلا الاستعمار وأذنابه"(٣٧٦).

وفي النهاية، اختتم الكاتب مقاله المطول بفقرة هامة تتعلق بدور مصر ومسئوليتها تجاه القضايا العربية؛ حيث اعتبر ــ مثل أحمد رشدي صالح سابقاً ــ أن "الممثلين المصريين ــ في السياسة العربية ــ من أمثال عزام وهيكل يعتبرون رأس الرمح للمناورات الرجعية والسياسة التقليدية في الجامعة العربية، ويلقي هذا على الحركة الوطنية المصرية مسئولية خاصة، مسئولية أجسم مما تتحمله الشعوب العربية الأخرى، فحتى تنقلب سياسة الجامعة العربية إلى سياسة عملية سليمة في صالح العرب، علينا ألا نكف لحظة واحدة عن تأييد كفاح فلسطين ... علينا أن نكافح وأن نحشد قوانا الشعبية حتى تقوم مصر بمسئولياتها إزاء الشعوب العربية الشقيقة لا أن تكون مركزاً للمناورات الاستعمارية ضدها ... إنهم يتحدثون عن زعامة مصر وقيادة مصر للشعوب العربية، فلتكن مصر هي التي تعرض قضية فلسطين على مجلس الأمن"(٣٧٧).

تنبع أهمية هذه الفقرة ــ بصرف النظر عن انشغالها بالهدف الظرفي لتلك اللحظة وهو رفع قضية فلسطين إلى مجلس الأمن ــ مما تحمله من رؤية متقدمة ومستنيرة لمسئولية مصر إزاء القضايا العربية، وهي رؤية تعكس وعياً قومياً مبكراً ومبرئاً من النزعة المصرية التفاخرية التقليدية التي تميل لتفخيم وتضخيم دور مصر في المنطقة والمبالغة في زعامتها وقيادتها للعرب، مع تجاهل ما تستتبعه تلك الزعامة والقيادة المفترضة من التزامات(٣٧٨).

وفي إطار رهان الفجر الجديد على مجلس الأمن أيضاً، استمر بعد ذلك انشغالها بمقررات اجتماع بلودان بشكل أكثر راديكالية؛ فعلى عكس

---

(٣٧٦) الفجر الجديد، مج٢، ع٣٩، ١٩ يونيه ١٩٤٦، حول اجتماع بلودان: إلى مجلس الأمن بقضيتنا وقضية فلسطين "صادق سعد"، ص٨٣٠.

(٣٧٧) نفسه، ص٨٤٨.

(٣٧٨) راجع حول هذه الإشكالية المستمرة في الوعي المصري: أحمد صلاح الملا، مصر والعروبة: أزمة الوعي وإشكالية الهوية، مصر العربية للنشر والتوزيع ــ القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١٤، ص٧٧ ــ ٧٨.

صادق سعد الذي تعامل بليونة مع قرار مجلس الجامعة العربية في الاجتماع بالتوجه بقضية فلسطين إلى الأمم المتحدة ومجلس الأمن ورحب به رغم وعيه بطبيعته المشروطة بتفاوض مسبق مع بريطانيا، اعتبر أحمد رشدي صالح في افتتاحية العدد التالي هذا التوجه أولاً للتفاوض مع بريطانيا قراراً ضمنياً بعدم عرض القضية على مجلس الأمن والتعامل معها كمجرد "نزاع بين بريطانيا وفلسطين"، وهو ما يعني ـ برأي الكاتب ـ أن الجامعة العربية "ساعدت الاستعمار في عزل فلسطين عن المعترك الدولي"(٣٧٩).

فيما نرى، انطوى رأي رشدي هنا على بعض المبالغة، خاصة وأن عبد الرحمن عزام نفسه كان قد أكد قبل أيام قليلة أن التفاوض المطروح مع بريطانيا يجب أن ينتهي قبل شهر سبتمبر "حتى إذا ما انتهينا إلى نتيجة مرضية لنا أو غير مرضية عرضنا الأمر على الأمم المتحدة"(٣٨٠).

وفي عددها قبل الأخير، استمرت الفجر الجديد ـ في آخر ما جاء على صفحاتها حول قضية فلسطين ـ في تعبئة الجهود سعياً لعرض هذه القضية على مجلس الأمن، فأشارت ـ في إطار التوأمة والتنسيق بينها وبين عصبة التحرر الوطني الفلسطينية ـ إلى "كتاب مفتوح" وجهته مجلة "الغد" التابعة للعصبة إلى "الأحزاب والهيئات الديموقراطية في مصر والعراق وسوريا ولبنان"، وطلبت فيه مساعدة تلك القوى في إنجاز هذا الهدف "وقالت الزميلة الغراء أن الاستعمار يحاول بكل الوسائل أن يحول قضية فلسطين إلى قضية يساوم عليها ليكسب الوقت وليضرب الشعب العربي ضربة قاضية، وقد بدأت بوادر نجاح الاستعمار في قرار مجلس الجامعة العربية الذي انعقد في بلودان بتشكيل لجنة للتفاوض مع انجلترا في سبيل إغفال توصيات لجنة التحقيق ... لكن عرب فلسطين يرون أن قضيتهم قضية استقلال وتحرر من الاستعمار، ولذا فهم يصرون على مقاضاة المستعمر أمام مجلس الأمن لينالوا حقهم الطبيعي في تقرير مصيرهم"(٣٨١).

يعكس تواتر مطلب رفع قضية فلسطين إلى مجلس الأمن على صفحات الفجر الجديد، استمرار النظرة المتفائلة في أوساط النخب الشابة المصرية والعربية لهذه الهيئة باعتبارها "محكمة" دولية يمكن اللجوء إليها لضمان تحقيق عدالة ناجزة في هذه القضية الشائكة، خاصة مع وجود الاتحاد السوفيتي والدول الداعمة له ضمن هذه الهيئة بما يرفع سقف الأمل فيما يمكن أن تنجزه، وبالنظر إلى الأمر بمنظار التاريخ نجد أن هذا الطموح

(٣٧٩) الفجر الجديد، مج٢، ع٤٠، ٢٦ يونيه ١٩٤٦، سياسة مترنيخ في شرقنا العربي "أحمد رشدي صالح"، ص٨٥٤.

(٣٨٠) الأهرام، ٢٤ يونيه ١٩٤٦، حديث لعزام باشا.

(٣٨١) الفجر الجديد، مج٢، ع٤١، ٣ يوليو ١٩٤٦، إلى مجلس الأمن، ص٨٧٤.

المتفائل كان مبالغاً به للغاية ــ رغم أنه تعزز بنجاح سوريا ولبنان في نيل استقلالهما عبر مجلس الأمن كما سبق وأشرنا ــ حيث لم يقم على دراسة جدية لموازين وعلاقات القوى الدولية، كما لم يستوعب خصوصية المشروع الصهيوني باعتباره نقطة تقاطع ــ في هذه المرحلة على الأقل ــ لمصالح وطموحات قوى عديدة كانت تبدو متنافرة على الساحة الدولية.

الخاتمة

في بداية هذا البحث، قدمنا إشارات حول أوضاع مصر في الحرب العالمية الثانية؛ أوضحنا فيها بإيجاز طبيعة الاختلالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية العميقة التي عانت منها البلاد بفعل ضغوط الحرب، وما أنتجته هذه الضغوط من وعي مغاير لدى قطاع واسع من شباب الأربعينيات لم يعد يقصر الاهتمام العام على القضية الوطنية حسب الفهم الكلاسيكي الذي ساد لها منذ ثورة ١٩١٩ "الجلاء والدستور ووحدة وادي النيل"، وإنما أصبحت اختلالات الواقع الاقتصادية والطبقية تلك جزءاً من المناخ العام يدخل في صلب الإدراك السائد للقضية الوطنية نفسها، وهو ما أفسح هامشاً من التراجع للقيادة التقليدية للحركة الوطنية ــ خاصة مع تصدع صورة الوفد نسبياً بعد حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ــ ملأته من ناحية القوى الفاشية والدينية المحافظة: مصر الفتاة والإخوان المسلمون، ومن ناحية أخرى الجماعات الماركسية الشابة التي تصاعد تأثيرها في تلك الفترة.

وضمن هذا الفهم، قدم المبحث الأول لهذه الدراسة عرضاً للسياق التاريخي الذي نشأت في إطاره مجلة "الفجر الجديد"؛ فتحدثنا فيه عن نشأة "عصبة أنصار السلام" الماركسية بصبغتها الأجنبية الغالبة وعن دور "بول جاكو ديكومب" فيها، وأشرنا كذلك إلى ظهور الشبان المصريين اليهود الثلاثة "يوسف درويش وصادق سعد وريمون دويك" ضمن صفوفها وسعيهم الدؤوب للتمايز داخلها والاقتراب الحثيث من واقعهم المصري وطبقاته الشعبية، وهو ما قادهم للاتصال ــ عبر يوسف درويش ــ ببعض الكوادر الراديكالية الشابة في الحركة العمالية والنقابية المصرية والقيام بأدوار مهمة لخدمة هذه الحركة، كما قادهم أيضاً للنشاط في الميدان الثقافي وإقامة علاقات مع الكثير من المثقفين اليساريين الشبان، ما أسفر عن تأسيس "لجنة نشر الثقافة الحديثة" و"دار القرن العشرين" للنشر، وصولاً ــ بعد الانفصال عن هذه اللجنة ــ إلى تأسيس الفجر الجديد كمجلة ماركسية علنية.

كما استعرض المبحث ذاته أهم ملامح مجلة الفجر الجديد نفسها، منذ صدر عددها الأول في ١٦ مايو ١٩٤٥ حتى أطاحت بها حملة إسماعيل صدقي الشهيرة في يوليو ١٩٤٦ ضمن ما أطاحت به من الصحف

والجمعيات ودور النشر اليسارية والوفدية؛ فأشرنا فيه إلى تطور مواعيد صدورها وإلى أهم من شاركوا بالكتابة فيها من التيارات اليسارية والوطنية المختلفة ـ ومن اليساريين العرب كذلك ـ وعرضنا تفصيلاً لأهم تقسيماتها وأبوابها، وفي السياق ذاته تطرقت الدراسة لما واجه المجلة الشابة على امتداد تجربتها القصيرة من أزمات مالية حادة، مبرزة أسلوبها في معالجتها عبر بناء وترسيخ علاقة عضوية مع قرائها وأصدقائها.

وانطلاقاً من هذه النقطة، حاولت الدراسة تقديم إجابة للسؤال الإشكالي حول الوضع التنظيمي للفجر الجديد وهل كانت مجرد منبر ثقافي أم واجهة علنية لتنظيم شيوعي قائم؟؛ وقد خلصت دراستنا بهذا الخصوص إلى أن الفجر لم تكن تعبر عن تنظيم شيوعي متكامل لكنها كانت "نواة" لتحول تنظيمي مزمع لم يظهر فعلياً إلا في سبتمبر ١٩٤٦ ـ بعد ضربة إسماعيل صدقي للكيانات اليسارية العلنية ـ هو تنظيم "ط ش ت ـ الطليعة الشعبية للتحرر" الذي تطور فيما بعد إلى "طليعة العمال"، وإن كان من الضروري هنا الإشارة إلى أن الفجر الجديد نفسها قد ساهمت بوعي ـ على ما يبدو ـ كأحد أدوات إنجاز التعبئة اللازمة لبناء هذا التنظيم و"تجنيد" الكوادر المؤسسة له.

***

عند التعاطي مع موقف الفجر الجديد الحماسي والمبدئي من قضية فلسطين، والذي ارتكز على تعاطف مخلص مع حق شعبها العربي في أرضه وعلى رفض قاطع للاستعمار وإدانة للصهيونية، يتعين علينا أن نفهم أن جزءاً من هذا الحماس والإخلاص يجب أن يُنسب إلى حساسية وضع مؤسسيها باعتبارهم يهوداً بالذات، وحاجتهم أكثر من غيرهم إلى إبداء هذا القدر من المبدئية والانتماء إلى بيئتهم المصرية والعربية.

لكن هذا المنشأ اليهودي ذاته لمؤسسي الفجر الجديد أدى إلى إشكالية على مستوى معين؛ ذلك أن رغبتهم ـ المحقة بالأساس ـ في نفي أي بعد عنصري عن الصراع في فلسطين وفي تبرئة اليهود من حيث هم يهود من وزر المشروع الصهيوني، قادت المجلة أحياناً للتعامل مع الصهيونية باستخفاف نسبي كما لو كانت مجرد مشروع استثماري غربي يستعمل الوجود اليهودي في فلسطين كوقود لمصالحه، وهو ما يجعل يهود فلسطين أنفسهم "ضحايا" بشكل ما، وتكمن المعضلة هنا في أنه بقدر ما يبدو تنزيه اليهود في العالم كله عن وزر الصهيونية طبيعياً ومقبولاً، إلا أن إدخال المهاجرين اليهود إلى فلسطين ـ وهم أساس ذلك المشروع ـ ضمن نفس المعيار بدا مبالغة في طوباوية لا محل لها، وأدى أحياناً إلى أوهام وأخطاء كبيرة في التحليل.

ولهذا الجانب ارتباط ما بالتباس معين عانت منه الفجر الجديد باستمرار؛ فهي رغم وضوح رفضها المبدئي للهجرة اليهودية إلى فلسطين، إلا أنها مع استقرار المهاجرين هناك لم تكن تحافظ على نفس الموقف، فإيديولوجيتها الماركسية جعلتها تقسم المهاجرين حسب مواقعهم الطبقية والإيديولوجية، وقد أسس هذا التوجه لديها لافتراض جوهري مفاده أن كل عامل يهودي في أوساط اليسار هو خصم طبيعي للصهيونية ومسمار في نعشها، وهو ما قادها ـ بدلاً من المناداة المنطقية بخروج كل مهاجر يهودي "كادح" اعتنق الماركسية وكفر بالحلم الصهيوني من فلسطين وتركها لأهلها العرب ـ إلى تشجيع النضال الطبقي بين الكادحين من العرب واليهود باعتبار ذلك الإمكانية الوحيدة لحل القضية الفلسطينية خارج الخيار الصهيوني، دون أن تفطن إلى أن العامل اليهودي الكادح ـ حتى الماركسي المعادي للصهيونية ـ يوفر بمجرد بقائه في فلسطين خدمة للصهيونية ويدعم المشروع الصهيوني من حيث يناضل ضده، لأنه بذلك يتحول إلى "مواطن" في الدولة الصهيونية المحتملة، حتى لو كان مواطناً معارضاً لأساس المشروع الذي ترتكز عليه هذه الدولة.

ولا شك أن الفجر الجديد لم تقع في هذا الالتباس المهم نتيجة خيارها الماركسي النظري فحسب، بل نتيجة تحالفها الوثيق مع "عصبة التحرر الوطني" الماركسية الفلسطينية كذلك، حيث تبنت العصبة ذلك التوجه وتبعتها فيه الفجر دون أية محاولة لنقده أو حتى مناقشته.

واستطراداً في هذه السلسلة من الالتباسات، ونتيجة ميل الفجر للتقليل نسبياً من أهمية وخطورة الصهيونية وموازاتها أحياناً بين الانشغال بمواجهتها وبين العداء لليهود ـ خوفاً من الوقوع في فخ العنصرية ـ فقد ألقت تبعة العداء والصراع بين العرب واليهود في فلسطين على عاتق الاستعمار البريطاني وحده، جاعلة من الإمبريالية البريطانية الطرف الأساسي الذي يجب أن يتوجه النضال المشترك للكادحين من الطرفين ضده، وهي قراءة تعد ـ فيما نرى ـ غير دقيقة رغم مركزية دور الاستعمار في خلق القضية الصهيونية من الأصل، ويجعلنا هذا نؤكد هنا على ما أثبتته هذه الدراسة وهو أن نزوع الماركسيين المصريين إلى ذلك الاعتقاد لم يظهر فقط ـ كما أشار البعض ـ منذ العام ١٩٤٧، حيث شكلت تلك الأطروحة أحد مرتكزات رؤية الفجر الجديد في تناول قضية فلسطين والتعامل مع الصهيونية.

وعلى صعيد آخر، اتخذت الفجر الجديد على امتداد مسيرتها موقفاً متشدداً إزاء جامعة الدول العربية يصمها بالتهاون والارتهان للاستعمار البريطاني والعجز عن مواجهة مشكلات الأمة العربية وعلى رأسها قضية فلسطين، ونحن نتفق في العموم مع هذا التقييم ونراه يتسق مع الظرف العام

الذي نشأت الجامعة في إطاره ومع طبيعة تكوينها والقوى والحكومات الممثلة فيها، إلا أن هذا لا يمنع من القول أن موقف الفجر من الجامعة وأمينها العام عبد الرحمن عزام قد شابته في بعض الحالات سمة التحامل والتشكك المبالغ فيه، وربما أتى هذا انسجاماً مع الموقف السوفيتي الذي أدان الجامعة جملة ككيان رجعي موال لبريطانيا.

أما على مستوى لجنة التحقيق الأنجلو أمريكية، فيمكن اعتبار موقف الفجر الجديد المتشدد إزاءها ـ حيث أدانتها منذ البداية ومالت بحزم إلى مقاطعتها ـ موقفاً صحيحاً من الناحية السياسية والوطنية، خاصة وأن اللجنة كانت منحازة بقوة لليهود منذ اللحظة الأولى؛ لقد كان واضحاً تماماً حتى بالنسبة لأعضائها البريطانيين ـ الذين كانت دولتهم تُتهم "بالانحياز للعرب" منذ استنت الكتاب الأبيض!! ـ أن المطلوب منهم هو تجاوز هذا النهج وابتداع خط جديد أكثر انسجاماً مع مصالح اليهود، وقد عبر عن هذا التوجه أحد أبرز هؤلاء الأعضاء حين أكد بصراحة فجة أن المطلوب لم يكن مساعدة بعض المشردين اليهود فحسب، وإنما دعم الصهيونية كرؤية تدعو إلى إقامة وطن قومي يهودي في فلسطين، وهو أمر لا يمكن أن يتم "دون انتهاك حقوق العرب"(٣٨٢).

وفي مواجهة هذه اللجنة، يبدو لنا أن رهان الفجر الجديد ـ ومن ورائها عصبة التحرر الوطني ـ على الأمم المتحدة ومجلس الأمن التابع لها بوصفهما أداة دولية "عادلة" لحل قضية فلسطين بما يحررها من هيمنة العلاقة الاستعمارية مع بريطانيا، كان رهاناً غير مبني على قراءة دقيقة للوضع الدولي في تلك اللحظة، كان رهاناً ارتكز فقط على تقييم إيديولوجي رومانسي لدور الاتحاد السوفيتي وكتلته كقوى اشتراكية تقدمية ونزيهة، وهو تقييم لم يضع في الحسبان حتى تطور رؤية الاتحاد السوفيتي نفسه لواقع الصراع في فلسطين، وقد كانت محصلة كل هذه القراءة الرومانسية الغافلة هي الوصول عام ١٩٤٧ إلى قرار التقسيم الذي حذرت منه الفجر الجديد نفسها مراراً.

قائمة المصادر والمراجع

وثائق عربية منشورة:-

- جامعة الدول العربية، المجموعة الكاملة لخطب وكلمات الأمناء العامين لجامعة الدول العربية ١٩٤٥ ـ ٢٠١٨، المجلد الأول:

(٣٨٢) Crossman, op.cit, p.17.

الأمين العام عبد الرحمن عزام ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢، الأمانة العامة، ٢٠١٩.
- جامعة الدول العربية، قرارات مجلس جامعة الدول العربية الخاصة بقضية فلسطين الصادرة منذ الدورة الأولى حتى الدورة الخامسة والثلاثين: يونيه "حزيران" ١٩٤٥ ـ مارس "آذار" ١٩٦١، القاهرة، ١٩٦١.
- عاصم الدسوقي وآخران "تحرير"، وثائق الحركة الشيوعية المصرية ١٩٤٤ ـ ١٩٥٢، مركز البحوث العربية والإفريقية، ٢٠٠٧.
- فؤاد كرم "جمع وترتيب"، النظارات والوزارات المصرية، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤.
- ملف وثائق فلسطين "مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية"، الجزء الأول من عام ٦٣٧ إلى عام ١٩٤٩، الهيئة العامة للاستعلامات، د.ت.

وثائق أجنبية منشورة:

- FRUS, 1946, vol.vii, The Near East and Africa, ebook, Washington, 2018.
- FRUS, Diplomatic papers, 1945, vol.VIII, Near East and Africa, ebook, Washington, 2018.
- Public papers of the presidents of The United States: Harry S. Truman, 1945, Washington, 1961.

دوريات عربية:-

- الأهالي، ٢٠١٠.
- الأهرام، ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦.
- البلاغ، ١٩٤٦.
- الرابطة العربية، ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦.
- رؤية، ٢٠٠٦.
- شئون فلسطينية، ١٩٧٢، ١٩٨٠.
- الفجر الجديد، المجموعة الكاملة ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦.
- المصري، ١٩٤٦.

دوريات أجنبية:-

- New York Times, 1945.

- The Manchester Guardian, 1945 – 1946.

كتب عربية ومترجمة:-

- إبراهيم ابراش، البعد القومي للقضية الفلسطينية: فلسطين بين القومية العربية والوطنية الفلسطينية، مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت، ١٩٨٧.
- أبوسيف يوسف، وثائق ومواقف من تاريخ اليسار المصري ١٩٤١ ـ ١٩٥٧: مادة لتاريخ منظمة طليعة العمال، شركة الأمل للطباعة والنشر، ٢٠٠٠.
- أحمد صادق سعد، صفحات من اليسار المصري في أعقاب الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦، مكتبة مدبولي، ١٩٧٦.
- أحمد صلاح الملا، الطبقة العاملة المصرية والحياة السياسية ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢، دار زويل للنشر ـ القاهرة، ٢٠٠٠.
- أحمد صلاح الملا، مصر والعروبة: أزمة الوعي وإشكالية الهوية، مصر العربية للنشر والتوزيع ـ القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠١٤.
- أحمد طربين، فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار: أمريكة في خدمة الدولة اليهودية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٧، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٢.
- أحمد عبد الرحيم مصطفى، بريطانيا وفلسطين ١٩٤٥ ـ ١٩٤٩: دراسة وثائقية، دار الشروق، ١٩٨٦.
- أحمد فارس عبد المنعم، جامعة الدول العربية ١٩٤٥ ـ ١٩٥٨: دراسة تاريخية سياسية، مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت، ١٩٨٦.
- إسلام محمد عبد الخالق قاسم، الدبلوماسية المصرية وقضية فلسطين ١٩٣٧ ـ ١٩٤٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩.
- إميل توما، جذور القضية الفلسطينية، الطبعة الثانية، دمشق، ١٩٨١.
- أنور مغيث، الماركسية في مصر، ترجمة: عاصم عبد ربه حسين، المحروسة، ٢٠٢٤.
- بكلانوف، الطبقة العاملة في مصر المعاصرة، ترجمة: أحمد حسان، دمشق، ١٩٨٨.
- جمال الدين محمد سعيد، التطور الاقتصادي في مصر، مطابع رمسيس ـ الأسكندرية، ١٩٥٤.
- رفعت السعيد، تاريخ الحركة الشيوعية المصرية، المجلد الثالث ١٩٤٠ ـ ١٩٥٠، شركة الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨.

- رفعت السعيد، تاريخ الحركة الشيوعية المصرية، المجلد الثاني: الصحافة العلنية، شركة الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٧.
- رول ماير، البحث عن الحداثة: الفكر السياسي العلماني الليبرالي واليساري في مصر ١٩٤٥ ـ ١٩٥٨، دار ميريت ـ القاهرة، ٢٠٠٩.
- رؤوف عباس حامد محمد، الحركة العمالية في مصر ١٨٩٩ ـ ١٩٥٢، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ـ القاهرة، ١٩٦٧.
- ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية: جذورها في التاريخ الغربي، ترجمة: أحمد عبدالله عبد العزيز، سلسلة عالم المعرفة ـ الكويت، ١٩٨٥.
- ستالين، الماركسية والقضية القومية، ترجمة: رابطة الكتاب التقدميين، دار النهضة الحديثة ـ بيروت، د.ت.
- سهام نصار، اليهود المصريون: صحفهم ومجلاتهم ١٨٧٧ ـ ١٩٥٠، العربي للنشر والتوزيع، د.ت.
- سيرانيان، مصر ونضالها من أجل الاستقلال ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢، ترجمة: عاطف عبد الهادي علام، دار الثقافة الجديدة، ١٩٨٥.
- شهدي عطية الشافعي، تطور الحركة الوطنية المصرية ١٨٨٢ ـ ١٩٥٦، القاهرة، ١٩٥٧.
- صالح صائب الجبوري، محنة فلسطين وأسرارها السياسية والعسكرية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٤.
- صلاح العقاد، المشرق العربي المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة، ١٩٩٨.
- صلاح عيسى، أفيون وبنادق: سيرة سياسية واجتماعية لخط الصعيد الذي دوخ ثلاث حكومات، المحروسة، ٢٠٢١.
- طارق البشري، الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢، دار الشروق، ١٩٨٣.
- طه سعد عثمان، الصحافة العمالية في الأربعينيات، دار الخدمات النقابية والعمالية، ١٩٩٩.
- طه سعد عثمان، مذكرات ووثائق من تاريخ عمال مصر، الجزء الرابع: وحدة الحركة العمالية في مصر والعالم، القاهرة، ١٩٩٤.
- طه سعد عثمان، مذكرات ووثائق من تاريخ عمال مصر، الكتاب الثاني، مكتبة مدبولي، ١٩٨٢.
- عادل أمين، محاكمة الشيوعيين المصريين ـ قضية سنة ١٩٤٦ "حملة إسماعيل صدقي ضد العناصر الوطنية والديموقراطية"، القاهرة، ١٩٩٦.

- عادل حسن غنيم، الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ إلى ١٩٣٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤.
- عايدة سليمة، مصر والقضية الفلسطينية، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ـ القاهرة، ١٩٨٦.
- عبد الحميد محمد الموافي، مصر في جامعة الدول العربية: دراسة في دور الدولة الأكبر في التنظيمات الإقليمية ١٩٤٥ ـ ١٩٧٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣.
- عبد الرحمن الرافعي، في أعقاب الثورة المصرية، الجزء الثالث، دار المعارف، ١٩٨٩.
- عبد العظيم رمضان، صراع الطبقات في مصر ١٨٣٧ ـ ١٩٥٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت، ١٩٧٨.
- عبد العظيم محمد رمضان، تطور الحركة الوطنية في مصر من سنة ١٩٣٧ إلى سنة ١٩٤٨، الجزء الثاني، دار الوطن العربي، د.ت.
- عبد القادر ياسين، الحركة الشيوعية المصرية: الجذور ـ القسمات ـ المآل ١٩٢١ ـ ١٩٦٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢.
- عبد القادر ياسين، الحركة الوطنية الفلسطينية في القرن العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت، ٢٠٢٢.
- عبد الوهاب محمد المسيري، الأيديولوجية الصهيونية: دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة، القسم الأول، عالم المعرفة ـ الكويت، ١٩٨٢.
- عصام الغريب، عبد الرحمن عزام: الإسلام ـ العروبة ـ الوطنية، دار الكتب والوثائق القومية ـ القاهرة، ٢٠١١.
- عواطف عبد الرحمن، مصر وفلسطين، سلسلة عالم المعرفة ـ الكويت، ١٩٨٥.
- فلاح خالد علي، فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٣٩ ـ ١٩٤٨، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠.
- لمعي المطيعي، هؤلاء الرجال من مصر، الجزء الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩.
- اللورد كيلرن، مذكرات اللورد كيلرن ١٩٣٤ ـ ١٩٤٦، الجزء الثاني، ترجمة: عبد الرؤوف أحمد عمرو، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥.
- ليلى القاضي، الهستدروت، منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الأبحاث: بيروت، ١٩٦٧.

- لينين، موضوعات نيسان، دار الطبع والنشر باللغات الأجنبية ـ موسكو، د.ت.
- محمد الجوهري، رشدي صالح والفولكلور المصري: دراسة لأعماله وفصول من تأليفه، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة، ٢٠٠٣.
- محمد أمين الحسيني، حقائق عن قضية فلسطين، مكتب الهيئة العربية العليا بالقاهرة، ١٩٥٤.
- محمد أنيس، ٤ فبراير ١٩٤٢ في تاريخ مصر السياسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت، ١٩٧٢.
- محمد حسين هيكل، مذكرات في السياسة المصرية، الجزء الثالث، دار المعارف، ١٩٩٠.
- محمد زكي عبد القادر، محنة الدستور ١٩٢٣ ـ ١٩٥٢، كتاب روز اليوسف، ١٩٥٥.
- محمد عزة دروزة، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، الجزء الثاني، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ـ صيدا، ١٩٦٠.
- محمد عزة دروزة، حول الحركة العربية الحديثة، الجزء الثالث، المكتبة العصرية ـ صيدا، ١٩٥٩.
- محمد علي حلة، فلسطين في جامعة الدول العربية ١٩٤٥ ـ ١٩٦٧، دار الكتب والوثائق القومية ـ القاهرة، ٢٠١٥.
- محمد نصر مهنا، مشكلة فلسطين أمام الرأي العام العالمي ١٩٤٥ ـ ١٩٦٧، دار المعارف، ١٩٧٩.
- محمد يوسف الجندي، ٢١ فبراير توجه جديد للحركة الوطنية، دار الثقافة الجديدة، ١٩٨٦.
- محمود العسكري، صفحات من تاريخ الطبقة العاملة، دار الخدمات النقابية بحلوان، ١٩٩٥.
- محمود عوض، وعليكم السلام: مصر وإسرائيل والعرب ـ الجذور والمستقبل، دار المستقبل العربي، ١٩٨٦.
- محمود متولي، الجذور التاريخية للرأسمالية المصرية وتطورها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤.
- مصطفى الفقي، الأقباط في السياسة المصرية: مكرم عبيد ودوره في الحركة الوطنية، دار الشروق، ١٩٨٨.
- موسى البديري، شيوعيون في فلسطين: شظايا تاريخ منسي، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديموقراطية "مواطن"، ٢٠١٣.

- نجلاء سعيد مكاوي، مشروع سورية الكبرى: دراسة في أحد مشروعات الوحدة العربية في النصف الأول من القرن العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت، ٢٠١٠.
- نخبة من الكتاب، أبوسيف يوسف مفكراً ومناضلاً وإنساناً، دار ميريت ـ القاهرة، ٢٠٠٦.
- نزيه نصيف الأيوبي، الدولة المركزية في مصر، مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت، ١٩٨٩.
- نعمة حسن البكر، الهيمنة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية: العلاقات البريطانية الأمريكية ١٩٤٥ ـ ١٩٥٣ دراسة في العلاقات السياسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢.
- نوال قاسم، تطور الصناعة المصرية منذ عهد محمد علي حتى عهد عبد الناصر، مكتبة مدبولي، ١٩٨٧.
- نورهان الشيخ، موقف الاتحاد السوفيتي وروسيا من الوحدة العربية منذ الحرب العالمية الأولى حتى اليوم، مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت، ٢٠١٣.
- هند أمين البديري، أراضي فلسطين بين مزاعم الصهيونية وحقائق التاريخ، جامعة الدول العربية، ١٩٩٨.
- هنري كورييل، أوراق هنري كورييل والحركة الشيوعية المصرية، جمع ودراسة: رؤوف عباس، ترجمة: عزة رياض، مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٣.
- هنري لورانس، مسألة فلسطين، المجلد الثاني ١٩٢٢ ـ ١٩٤٧، الكتاب الرابع ١٩٣٢ ـ ١٩٤٧: مسألة فلسطين في الكارثة الأوربية، ترجمة: بشير السباعي، المركز القومي للترجمة ـ القاهرة، ٢٠٠٩.

كتب أجنبية:

- Bar-Zohar. Michael, Ben-Gurion; The armed prophet, prentice-hall, 1968.
- Beinin. Joel, Was the red flag flying there?: Marxist politics and the Arab – Israeli conflict in Egypt and Israel 1948 – 1965, university of California press, 1990.
- Botman. Selma, The rise of Egyptian communism 1939 - 1970, Seracuse university press, 1988.

- Bullock. Alan, Ernest Bevin: foreign secretary 1945 – 1951, New York, 1983.
- Cohen. Michael, Palestine and the great powers 1945 – 1948, Princeton university press, 1982.
- Crossman. Richard, Palestine mission: A personal record, New York, 1977.
- Issawi. Charles, Egypt: An economic and social analysis, Oxford university press, 1947.
- Kirk. George, The Middle East 1945 – 1950, Oxford university press, 1954.
- Kirk. George, The Middle East in the war, Oxford university press, 1952.
- Kramer. Gudrun, The Jews in modern Egypt 1914 – 1952, university of Washington press, 1989.
- Monroe. Elizabeth, Britain,s moment in the Middle East 1914 – 1956, London, 1964.
- Stevens. Richard P, American Zionism and U.S. foreign policy 1942 – 1947, Beirut, 1970.

رسائل علمية غير منشورة:-

- سحر علي حنفي علي خليل، تطور القضية الفلسطينية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٨، رسالة ماجستير، كلية الآداب ـ جامعة القاهرة، ١٩٩٢.

مقابلات شخصية:-

- لقاء شخصي مع القيادي اليساري نسيم يوسف بمنزل سيادته، بتاريخ ١٧ سبتمبر ٢٠٢٢.

مواقع إليكترونية:-

- وائل عبد الفتاح، يوسف درويش: رحلة الرجل الحديدي "حوار مع يوسف درويش"، الحلقة الرابعة: اليهود الخمسة، ١٥ نوفمبر ٢٠٢١، medinaportal.com